

المحهورة العربة المتحدة

وَزَارُةُ النَّفَ الْفَالَةُ النَّفِي الْفَالَةُ النَّفِي النَّفْلَقِي النَّفِي النَّفِي النَّفِي النَّفِي النَّفِي النَّفِي النَّفِي النَّفِي النَّفْلَقِي النَّفِي النَّفْلَقِي النَّفِي النَّفْلَقِي النَّفِي النَّفْلَقِي النَّفِي النَّفِي النَّفِي النَّفِي النَّفِي النَّفْلَقِي النَّفْلَقِي النَّفِي النَّفْلَقِي النَّفْلَقِي النَّفِي النَّفْلَقِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلَقِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلَقِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّلْقِيلِي النَّفْلِي النَّفْلِيلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّفْلِي النَّلْمِي الْمُلْمِي النَّ



تألیف دکنورأ حمب رمخنارعمُب

الناشر الحيثة المصرية العامة للتأليف والنشر المقاهدة ١٣٩٠هر – ١٩٧٠مر



المجهورة العربة المحدة

وَزَارُوا لِتَعْنَا فِيَرَ

بَ إِنْ الْمُعْنِينِ الْعَنِينِ الْعَالِينِ الْعَالِينِ الْعَالِينِ الْعَالِينِ الْعَالِينِ الْعَالِينِ الْعَلِينِ الْعَلَيْلِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلَيْلِينِ الْعَلَيْلِينِ الْعَلِينِ الْعِلَيْنِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعَلِينِ الْعِلْمِ اللَّهِ الْعِلَى الْعَلَيْلِينِ الْعِلْمِ اللَّهِ الْعَلَيْلِينِ الْعَلَيْ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلِي الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِينِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِيلِي الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِيلِي الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِيلِي الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِي الْعِلْمِي الْعِلْمِي الْعِلْمِي الْعِلْمِ الْعِلْمِ الْعِلْمِي الْعِلْمِ الْعِلْمِي الْعِلْمِي الْعِلْمِي الْعِلْمِي الْعِلْمِ الْعِلْمِي الْعِلْمِي الْعِلْمِي الْعِلْمِي الْعِلْمِي الْعِلْمِلِي الْعِلْمِي الْعِلْمِي الْعِلْمِي الْعِلْمِي ا

تألیف د*کنوراُحم* رمخنارعم ر

الناشر الحيثة المصرية العامة للتأليف والنشر المقاحدة ١٣٩٠م س ١٩٧٠م ۻٞٳڿٵڸڹۼٟڬڗٚڸڵۼٙڹؾڹٚ ڣممئر

المكنبةالعربية

نصدرها

الهيئة المضربة التامة للتأليف والنشر

بالاشتراكيش تبغ

المخليئ للأعلى لرعاية الغينؤن والآداب والعكوم آلاجيماعيّة

وَزَازُوْالنَّفِينَا فِينَا

المحتـوى

\rightarrow	السفحة
	قــامة
	نهيـــد : اللغة العربية في مصر قبل الإسلام
	ئياب الأول ؛ استيطان اللغة العربية في مصر ١٧ ١٧
	الغصل الأول: الصراع بين اللغتين – نظرة عامة ١٩
	القصل النانى : المرجلة الأو لى من الصراع (مرحلة المناوشة) ٢٩
	الفصل النالث : المرحلة الثانية من الصراع (مرحلة انتقدم) ٢٨ ٠٠٠ ٢٨
	القصل الرابع: المرحلة الثالثة من الصراع (مرحلة النصر) ٥٠٠ و٠٠
	الفصل الحامس : النَّهُ فَهُ أَنْ قَالُونَ فَي مصر وَ أَثْرُهَا عَلَى اللَّمَةُ العربية ٥٠٠ ، ٥٠٠
	الياب الثاني : المسائص النوبة لعربية مصر ٢٩ ٠٠٠ تا ٢٠٠٠ ٢٠٠
	۲۱
	الفضل الأولى: صعوبات على الطريق ٢٢ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٢
	الفصل الثانى : مادة التحليل الممنوى ٢٩ ٧٩
	النصلُ الثالث : المؤثر الأول (اللغة القبطية) ٩٠
	النصل الرابع : المؤثر الثاني (اللهجات العربية) ١٢٤
	تنصل الخامس: مؤثرات أخرى ١٤١٠ ١٤١٠
	عائمــة : درامة مقارنة : مدى انتأثير المتبادل بين القبطية والعربية ١٤٩
	1.4

				٠
•				
	-			
e.				
÷				
				_

مقدمة

قصة اللغة العربية في مصر من القصص الشائقة التي تستحق التسجيل ، وتغرى بالدرس . وهي – من ناحية ثانية – قصة لم تبذل الجهود الكافية – حتى الآن – لتحليلها ، ورصد حركاتها على الرغم من قدمها وطول العهد بها . وهي – بالإضافة إلى هذا – قد اختلطت بكثير من الشوائب لارتباطها من ناحية بانتشار الإسلام ، وما أكثر ما قبل عنه إن صدقا أو كذبا ، ومن ناحية أخرى باللغة القبطية ، وما أكثر ما بولغ في تصوير أثرها على اللغة العربية سواء في ناحية الإبجاب أو السلب .

وأخطر فترة فى تاريخ اللغة العربية فى مصر ، هى تلك التى تبدأ مع الفتح العرب (عام ٢٠ هـ ١٤٠ م) حين كانت اللغة القبطية ماتزال لغة حية يتكلمها عامة الشعب فى طول البلاد وعرضها – وتمتد لتغطى قرابة الملائة قرون أخذ ظل اللغة القبطية ينحسر فيها عن البلاد رويدا رويدا إلى أن تلاشى من الوجود أو كاد .

ومن أجل أهمية تلك الفرة التي سبقت أو تلت مباشرة استقرار اللغة العربية في مصر ، وعمق الحط الذي حفرته على عربية مصر رأيت أن أخصها مهذا البحث ، وأفردها بالحديث . وقد راعيت فيا كتبت أن أنجنب النفصيلات والتشعيبات الكثيرة بقدر المستطاع ، والتزمت بساطة العرض ، ووصوح الفكرة ما أمكن ، حتى يفهمني القارئ العادى ، ويستفيد من البحث المتخصصون وغير المتخصصين على السواء .

ولأغطى الموضوع من جميع أطرافه ، رأيت أن أقسم البحث إلى تمهيد وبابن . أما التمهيد فقد تناولت فيه – باختصار – تاريخ اللغة العربية في

مصر قبل الفتح الإسلامى ، وأثر اللغة المصرية عليها . وأما الباب الأول فقد عالجت فيه مراحل الصراع بين اللغتين المصرية والعربية ، والعوامل التي تدخلت في كل مرحلة في جانب أى منها أو ضده ، والنتائج التي انتهت إليها كل مرحلة . وقد سرت بالصراع إلى آخر مراحله ، فلم أتوقف إلا حين خلا الميدان للغة العربية وأصبحت وحدها اللغة العامة المشتركة لحميع المواطنين على السواء . وأما الباب الثاني فقد تناو لت فيه بالإيضاح خصائص عربية مصر في ذلك الوقت ، والعوامل المختلفة التي تدخلت حينذاك لتطبعها بطابعها ، أو تصبغها صبغة معينة . واستقيت المادة التي حللتها في هذا الباب من الوثائق وأوراق البردي التي اكتشفت مؤخرا في أماكن مختلفة من مصر ، ومن الكتب التي كتبها مؤ لفون أقباط عاشوا خلال تلك الفترة ، وسجلت كتبهم خصائص أسلوبية معينة ، وأخيرا من كتب الأدب والتاريخ المختلفة التي حفظت لنا بطوما نماذج لكتابات ذلك العصر .

وأنهيت البحث بخاتمة بينت فيها مدى التأثير المتبادل بين القبطية والعربية. وأرجو أن يكون هذا البحث حلقة فى سلسلة بحوث أخرى تتناول – من ناحية – عربيات البلاد العربية فى أولى أيامها – أو البلاد التى كانت عربية – وصراعها مع اللغات المحلية التى صادفتها حينذاك ، ومن ناحية أخرى مراحل تطور اللغة العربية فى كل بلد على حدة عبر القرون .

والله الموفق

د . أحمد مختار عمر

تمهيك اللغة العربية في مصر قبل الإسلام



لم تكن اللغة العربية غريبة على مصر حين جاء الإسلام إليها ، فقد كان لها هناك تاريخ طويل بمتد عدة قرون قبل ظهور الإسلام ، وربما قبل ظهور المسيحية أيضا ، حين كانت وفود القبائل العربية تقصد مصر إما للنجارة أو اللاستقرار .

فمن ناحية التجارة ، أشار المؤرخون إلى أنه كانت هناك خطوط تجارية برية و بحرية تصل بين مصر و الجزيرة العربية . و تفيد المصادر اليونانية واللاتينية (١) وغير ها أن مدينة غزة كانت فى ذلك الوقت ميناء تجاريا هاما ، ومركز ا يلتى فيه التجار و رجال الأعمال لعقد الصفقات التجارية . وكان التجار العرب بقدمون إليه لبيع ما عندهم من حاصلات اليمن و جنوب الجزيرة العربية و شراء ماياز مهم مما ير د على هذه المدينة من البحر من حاصلات اليونان و إيطالية و مصر و غير ها . و تشير إحدى الوثائق (٢) التى يرجع تاريخها اليونان و إيطالية و مصر و غير ها . و تشير إحدى الوثائق (٢) التى يرجع تاريخها الفيرة النائية . و من الثابت كذلك أن عمر و بن العاص زار مصر قبل الفتح الإسلامي بوصفه تاجرا ، و ذهب إلى الدلتا و من بعدها إلى الإسكندرية (٢) ، وأن خبرته بالبلاد المصرية هي التي جعلته يفكر في غزوها و يغرى الحليفة بذلك ، و هي التي سهلت له عملية الفتح .

وأما بالنسبة للهجرات العربية بقصد الاستقرار ، فقد كانت هناك كثير من الموجات دفعت مها بلاد العرب إلى مصر فى العصور الفرعونية .

^(1) تاريخ الدرب قبل الإسلام ، تأليف جواد على ١٣٢/٨ .

۲) المرجع السابق ۸/۲۰و ۲۸.

 ⁽٣) الكندى: الولاة من ٦ - ٧ طبعة بيروت ١٩٠٨، وافظر تاريخ مصر الإسلامية
 لمشيال من ه و ما بعدها .

وكان طريق سيناء قنطرة ثابتة مفتوحة للهجرات منذ القدم . ومن هذه الهجرات ما كان يؤخذ فيه رأى حاكم مصر ويتم بموافقته . وقد أشار المؤرخون إلى سلسلة من تلك الهجرات أخذت مكانها قبل الفتح الإسلامي، ومن بينها :

١ - هجرة قبائل كهلانية من عرب الحنوب ذات أصل قحطانى استقرت فى الحزءالشمالى الشرق من مصر . وقد تم ذلك مع مطلع المسيحية(١)٠
 ٢ - هجرة قبائل من وطبيء و (فرع كهلانى آخر من المحموعة الحنوبية) كان من أهمها قبيلنا لحم وجذام اللنان استقرنا فى إقليم الشرقية(٢) .

٣ – قبيلة و بلى اللي دخلت مصر قبل الإسلام واستوطنت مابين القصير وقنا . وكان عليهم الاعتماد في نقل التجارة الهندية . وقد قدم وفد منهم إلى الرسول وأسلموا (٣) .

٤ - هجرة بطون من خزاعة ، وهم فرع من الأزد خرجوا فى الحاهلية إلى : صر والشام لأن بلادهم أجدبت .

ه _ استقرار بعض الحماعات العربية قبل الإسلام في شرق الدلتا .

7 - وقد أشار المؤرخون اليونان بما فيهم استرابو (77 ق.م) وبلينيوس (٧٠ م) إلى أن عدد العرب في عهدهم قد تضاعف على الضفة الغربية من البحر الأحمر حيى شغلوا كل المنطقة بينه وبين بهر النيل في أعلى الصعيد . وكان لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر الأحمر والنيل (1) . وقد وصف استرابو كذلك مدينة قفط Koptos بأنها مدينة

The People of Sharqiya. : بياس عمار (١)

⁽القاهرة ع: ١٩ (١٩٠١ .

⁽ ٢) المرجع السابق ١ /٢٣ .

⁽٣) المرجم السابق ١/١١.

^(؛) انظر * البيان والإعراب ، ص ٨٩ .

واقعة نحت حكم العرب(١) ، وصرح بأن نصف سكانها يتكونون من أولئك العرب(٢) .

٧ - ذكر هيرودوت أن (٣) الأقسام الشرقية من مصر بين سواحل
 البحر الأحمر ونهر النيل كانت مأهولة بقبائل عربية .

۸ - فی عهد عمر بن الخطاب - بعد فتح الشام وقبل فتح مصر - هاجرت بعض القبائل من غسان ولخم وجذام وعاملة - التي كانت تدين بالمسيحية - إلى مصر ، واستقرت هناك في الجزء الشهالي الغربي من «سيناء» . وقد منحهم الإمبر اطور الروماني حينذاك إقطاعية «تنيس» (صان الحجر)(؛) وقد قابلت النجدة التي أرسلها عمر بن الخطاب عبر وسط سيناء لمساعدة عمرو جمعا هائلا يبلغ نحو ثلاثة آلاف ، وحين سألوهم عرفوا أنهم من عرب غسان ولخم وعاملة . (ه)

و بالإضافة إلى هذا فإن الوثيقة السابق الإشارة إليها ، والتي يرجع تاريخها إلى عام ٢٦٣ ق.م تفيدنا أنه كانت توجد في ذلك الوقت المبكر جالية عربية كبيرة مكونة من القبائل التي هاجرت من جنوب الحزيرة العربية واستقرت في مصر . وإنه لمن الأهمية بمكان أن نذكر هنا أن لغة هذه الوثيقة تبدو قوية الصلة باللغة العربية ، مما يدل على أن هؤلاء العرب كانوا يكونون جزيرة لغوية في مصر ، وأن هذه الحالية ظلت مخلصة لقوميتها محتفظة بأبجديتها تكتب بها وتعتز بتراثها . والوثيقة قصيرة ، ولكنها ذات أهمية كبيرة لأنها

⁽۱) انظر دائرة الممارف الاسلامية مادة Kibt ص ۱۹۱ (طبعة أولى). والبيان والاعراب للمقريزي ۸۹.

 ⁽۲) عروبة مصر من قبائلها ، للا'سناذ مصطفى كامل الشريف ص ۲۲. (المطبعة العالمية سنة المربع العربية الإسلامية للدكنور على حسن الخربوطل ص ١٥.

⁽r) جراد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ٧/٥٥ و ٣٦.

^(؛) المتريزى : البيان و الاعراب ص ٩٠ – ٩١ (طبعة القاهر ة ١٩٦١).

⁽ه) عروبة مصر من فبائلها ص ٢٣ .

تحدثت عن وجود العرب الحنوبين عصر فى ذلك العهد السحيق ، وعن وجود علاقات تجارية ربطت بين مصر وجزيرة العرب من البر والبحر. وهى تتحدث أيضا عن رجل اسمه وزيد بن زيد ايل ، اعترف بوجود دين عليه وواجب هو توريد وتزويد بيوت آلهة مصر بالمر وقصب الطيب. ومن الكلمات التي وردت في هذه الوثيقة ، والتي عكن بسهولة ردها إلى أصل عربي أوسامي الكلمات و دين ، التي استعملت في نفس معناها العربي ، و و نفقس ، التي تعني ثروته أو نفقته من الأصل الثلاثي و نفق ، ، العربي ، و و نفقس ، التي تعني رصد أو خصص .

وعلى أى حال فمن الطبيعى أن يكون قد نشب نوع من الاحتكاك فى ذلك الوقت بين اللغتين العربية والمصرية ، وأن يكون قد حدث بينهما قدر ما من التبادل . ويبدو أن آثار كلتا اللغتين على الأخرى كانت قوية لدرجة أنها خلقت تشامها أو تقاربا بين اللغتين أدى ببعض اللغويين المحدثين أن يزعموا وجود قرابة بين اللغتين ، أو بين المحموعتين السامية والحامية (١) (من المحموعة السامية اللغة المصرية القديمة) . ولكن المحقيقة أن هذا التشابه سببه ماحدث من اختلاط بين الساميين والمصريين فى العصور السحيقة . وممن حاول اكتشاف العلاقة بين اللغات السامية والحامية المشهور أوليرى (دى لاسى) الذى كتب محنا حاول فيه أن يبين أوجه الشبه بين العائلتين اللغويتين .(١)

وقد كان نفوذ اللغة المصرية (أو اللغات المصرية إذا أردنا بهذا المصطلح مايشمل اللغة اليونانية التي كانت صاحبة نفوذ في مصر في تلك الفترة)

Irach Jehangier Sorabji : Elements of the Science of Language, انظر (۱)
Calcutta, 1932.

⁽۲) انظر مقدمة كتاب Characteristics of the Hamitic Languages.

على اللغة العربية كبيرا من ناحية المفردات. فهناك كلمات مصرية كثيرة دخلت اللغة العربية وأصبحت ينظر إليها على أنها من اللغة الأدبية النموذجية. من هذه الكلمات ألفاظ نحو « قبس » التي وردت في القرآن الكريم ، وه مشط » التي وردت في الحديث النبوى : الناس سواسية كأسنان المشط ، وكلمة « بردى » التي وردت في شعر الأعشى .

وقد ذكر السيوطى(١) – إلى جانب ذلك – قائمة من الكلمات التى وردت فى القرآن الكريم ولها – عنى ما يزعم – أصل قبطى . ومما ذكره فى هذا الخصوص قوله : وفى قوله تعالى ولات حين مناص ، أى فرار بالقبطية . وفى قوله تعالى بضاعة مزجاة أى قليلة بالقبطية . وحكى الكرمانى وغيره فى قوله تعالى : فناداها من تحتها أى بطنها بالقبطية . وفى قوله تعالى فى الملة الآخرة أى الأولى بالقبطية .. وواضح أن قائمة السيوطى لا يمكن التسليم مها مطلقا ولذا فنحن لا نعطيها أى اعتبار .

وهناك قائمة أخرى كبيرة لكلمات ذات أصل يونانى ، ولكن أحداً لا يمكنه أن يقطع هل كان انتقال هذه الكلمات إلى اللغة العربية قد تم فى مصر أو فى سورية .

وخلاصة القول أن اللغة العربية كانت تتنكلم فى مصر فى فترة ماقبل الإسلام بين أبناء الحاليات العربية وعلى ألسنة النجار العرب وأن تبادلا حدث بين اللغتين المصرية والعربية ، أدى إلى ترك آثار من كلا الحانبين على الآخر ولكن دون أن يفقد أى منهما شخصيته .

⁽١) المتوكل فيما و رد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية ص ١٢ .



البابُ الأول

استيطاك للغنالعب ربية فمصر



الفصّل الأول الصّراع بين اللغتين

نظرة عامة

لقد ظهر الصراع الحقيق بين اللغتين العربية والمصرية – والتي سنسميها منذ الآن باللغة القبطية (١) – بشكل و اضح بعد الفتح الإسلامي لمصر . فقد حدثت إذ ذاك معركة كبيرة بين اللغتين انتهت بهزيمة كاملة للغة القبطية ونصر مبين للغة العربية . ولم عدث هذا – بالطبع – دفعة واحدة ، وإنما خطوة بعد خطوة واستغرق فترة طويلة بالمقارنة بما حدث في أماكن أخرى من العالم الإسلامي .

وقد كانت هزيمة اللغة القبطية نتيجة لأسباب متعددة عملت كلها فى صالح اللغة العربية ، كما أن تأخير هذه الهزيمة يمكن أن ينسب – من ناحية أخرى – إلى عقبات معينة عطلت النقدم السريع للغة العربية .

وقبل أن نناقش هذه الأسباب وتلك العقبات نحب أن نمهد بحديث قصير عن العوامل الرئيسية التي تتحكم في صراع اللغات ، والتي يسرى مفعولها على أى لغتن محدث احتكاك بينهما . هذه العوامل هي :

أما المحدثون فلهم في تفسير ها آراء عدة منها :

=

⁽۱) القبط – وكذلك الأقباط – اسم أعطاه العرب للمصريين حتى من قبل الفتح الإسلامى ، و في الحديث النبوى: استوصوا بالقبط خبراً «. و قد اشتهر نوع من النياب منذ الجاهاية باسم القبطية و جمعه العرب على « قباطي» .

و تذهب المراجع العربية القديمة في تفسير كلمة و قبط » مذهباً أسطور ياً فتزعم أنها مشتقة من اسم ملك لمصر القديمة كان يدعى قبطيم بن مصر ايم بن مصر بن حام بن نوح .

- ١ العامل السياسي .
- ٢ _ العامل الاقتصادى .
 - ٣ العامل الديني .
- ٤ _ عامل التفوق اللغوى (١) .

وقد لعبت هذه العوامل كلها دورا هاما فى صالحاللغة العربية وتعاونت فها بينها لتنهى حياة اللغة القبطية فى مصر .

فإذا نحن نظرنا إلى العامدين السياسي والاقتصادي وجدنا أنهما كانا

وتعتبر اللغة القبطية المرحلة الأخير ة لمنة المصرية القديمة . و أهم ما يميزها عنها :

- (١) أنها كنيت بأبجدية يونانية بعد أن كانت تكتب بحرون معظمها ديموطيقية .
 - (ب) أنها دخلتها مفر دات و تعبير ات يونانية .
 - (ج) أنها أبدات بعض الأصو ات في الكنمات.
- (د) أنها كتبت بالحروف الساكنة والمتحركة (الحركات) بعد أن كانت لا تذكر الحروف المتحركة .
- (م) أنها اشتملت على كلمات غير موجودة فى المصرية القديمة و تركت كلمات موجودة فى المصرية القديمة .
 - (انظر : حضارة مصر في العصر القبطي لمرادكامل ص ٦٩) .
 - انظر J. Vandryes : Language ص ۲۸۱ ص ۲۸۱

⁼⁽١) أنها اشتقت من مدينة Koptos (قفط).

⁽٢) أنها تعريف للكلمة Jacobites (اليعاقبة) . و بعض المراجع تطلق على المصريين الأقباط الذين و جلموا أثناء الفتح اسم اليعاقبة ، و هم الذين غلب عليهم فيها بعد اسم الأقباط الأر ثوذكس ، وكانوا يكونون أغلبية في مصر .

⁽٣) أنها تحريف الكلمة اليونانية Koptoi التي كان يطلقها اليونانيون على المصريين لأنهم كانوا يجرون الختان على أو لادهم.

^(؛) وأقرب الآراه إلى الصحة أن الكلمة تحريف للاسم اليوناني للمصرين و هو Koptoi و يبدو على كل حال أن هذه الكلمة استعملت أو له ما استعملت وأريد بها غير المسلمين من المصريين ، من غير نظر إلى عقيدة معينة ، ثم يمرو ر الوقت أصبح الفظ علماً على المسيحين المصريين ، ولم يعد ينضمن أصحاب أى ديانة أخرى .

يعملان فى صالح اللغة العربية . فمما لاشك فيه أن القوة كانت فى أيدى العرب الذين بذلوا أقصى وسعهم لتعريب البلد ونشر الإسلام . وقد أدت عمليات التعريب ونشر الإسلام إلى نتائج اقتصادية هامة كان لها أثرها فى دعم اللغة العربية ورفع شأنها فى مصر . وقد كان من أهم الخطوات التنفيذية التى خطاها العرب ، والتى قوت جانبى الإسلام واللغة العربية فى مصر مايأتى:

- ١ إحلال اللغة العربية محل اللغة اليونانية أو القبطية فى الدواوين
 و فى المكانبات الرسمية .
 - ٢ تهجير عديد من القبائل العربية إلى مصر بقصد الإقامة الدائمة .
 - ٣ _ إحلال بعض المسلمين محل الأقباط في الوظائف الرسمية .
 - ٤ ـ فرض أنواع مختلفة من الضرائب على الأقباط.

فإذا انتقلنا إلى العامل الديبي، نجد من الثابت أنه لم يكن هناك ضغط مباشر على الأقباط ليعتنقوا الإسلام – إلا ما ندر – ولكننا نجد من الثابت أيضا أنه كانت هناك امتيازات معينة يتمتع بها المسلمون دون الأقباط مثل تفضيلهم عند شغل الوظائف القيادية بالإضافة إلى عامل الهيبة الذي يتمتع به المسلمون باعتبارهم الطبقة الحاكمة. وقد أغرى هذا وذاك مجموعة من الأقباط أن يعتنقوا الإسلام لينعموا بالمساواة في ظله . ومن ناحية أخرى فإننا نجد عدداً آخر يعتنقون الإسلام طواعية واختيارا مدفوعين بما محتويه من تعاليم صادقة وروح جديدة . ومن البدسي أنه إذا اعتنق شخص الإسلام عند حكم عربي فإنه سيحاول أن محاكي المسلمين في كل تصرفاتهم ... ميدهب إلى المسجد ، وسيقرأ القرآن ، وسيصلي باللغة العربية . وباختصار ميعيش عيشة إسلامية كاملة .

وعامل الإسلام من الناحية اللغوية بعنبر ذا أهمية قصوى . وقد كان

من الواضح جدا ارتباط تقدم اللغة العربية وانتشارها بتقدم الإسلام وانتشاره في كل الأقطار المفتوحة على السواء . كذلك كان من الواضح أن الأماكن النائية أو التي لم ينتشر فيها الإسلام بسرعة ظلت اللغة القبطية فيها حية لمدة أطول من غيرها . وقد كان اكتساب الأقباط الذين أسلموا للغة العربية أسرع من اكتساب أولئك الذين لم يسلموا لها . ولهذا فنحن ننفق مع المستشرق الشهير دى لاسي أوليرى الذي علق أهمية كبيرة على هذا العامل بقوله وكان انتشار الإسلام بلاشك عاملا من عوامل إحلال اللغة العربية محل القبطية ، (١) .

وقد حاول بعض الكتاب الذين عالحوا انتشار الإسلام في مصر أن يصلوا إلى نتيجة معينة هي أن الإسلام قد انتشر في مصر بالقوة . واعتمد هؤلاء فيا اعتمدوا – ومعظمهم من المستشرقين – على كتاب عنوانه و سبر الآباء البطاركة ، بقلم سويرس بن المقفع ، وهو مسيحي يعقوني شغل منصب أسقف في كنيسة أشمونين نحو عام ٩٨٥ م . وهذا الكتاب في الحقيقة – ملىء بالوقائع المزورة والأكاذيب الفاضحة ، ولذا طعن في صحته كثير من العلماء في الشرق والغرب . وممن تشكك في كتابات هذا الرجل ، ورأى ضرورة التثبت منها Nabia Abbot مؤلفة كتاب : عن الأمويين إذ قالت مامعناه : إن معظم المراجع التي بالنسبة لما كتب عن الأمويين ونظام حكمهم كتبها أناس أعداء لهم مثل العباسيين والمسيحين من أمثال سويرس بن المقفع (٢) . كذلك حذر Bell في مقاله والمسيحين أمثال سويرس بن المقفع (٢) . كذلك حذر القبطية في المصادر القبطية

⁽۱) انظر : Notes on the Coptic Language صن ۲۶۶ مقال بمجلة المجاد المجلة المجاد المجلة المجاد المجاد

⁽٢) انظر س ٧٠ .

حيث إن التعصب الديني قد لعب دورا كبيرا فيها .وذكر لنا مثالاً من الأخطاء التي وقعت فيها المراجع القبطية وكشفت عنهأوراق البردي(١).

إننا لاننكر أنه وقعت هناك في تلك الفترة السحيقة بعض مصادمات بن المسلمين والأقباط ، ولكننا بسهولة نستطيع أن نردها إلى أسبامها الحقيقية . فبعض هذه المصادمات تم على أيدى المنطرفين من كلا الحانبين ، أو على أيدى العوام الذين تغلب عليهم حدة العاطفة دائمًا . وحتى في هذه المصادمات التي وقعت بين الحكام والأقباط فإننا نجد التفسير بسهولة ويسر . لقد كانت هذه المصادمات إما رد فعل لإثارات قام بها الأقباط - كما سنوضح فيما بعد – وإما عمليات اضطهاد وقتية قام بها بعض الحكام الظالمين(١) ، وإما نتيجة للصراع الداخلي بين الأقباط وخاصة بين أبناء الطوائف المختلفة الذي سبب للحكومة متاعب جمة . ومن أمثلة ذلك الصراع ما ذكره محى بن سعيد الأنطاكي (٣) في قوله : انقسم أهل مصر قسمن ، وكذلك أهل تنيس وتحزبوا حزبين ، وصار حزب من الكهنة والعلمانيين مع البطريرك وحزب منهم عليه . وكان كل فريق منهم يصلون في كنيسة مفردة حتى كان الأب لا يكلم ابنه ولاالامرأة تخاطب بعلها .. ويستعن كل فريق منهم على الآخر بالسلطان . وخرج جماعة من النصارى .. من أهل تنيس إلى الإخشيد ساعن به رافعن إليه . ثم ذكر أنه عقب هذه الوشاية أرسل الإخشيد من نهب إحدى الكنائس . كذلك صرح ، ترتون ، في كتابه :

⁽١) انظر ص ٢٨٤:

⁽۲) من أمثلة ذلك ما ذكره ابن تغرى بردى من اشتهار سليمان بن على بن عبد الله بن العباس (۲) من أمثلة ذلك ما ذكره ابن تغرى بردى من اشتهار سليمان بن المقفع عن عبد المؤيز بن مروان أنه أمر بكسر جميع الصلبان التي في مصر .

⁽٣) انظر تاريخ يحيى بن سبيد ص ٧١٥ – ٧١٦ المنشور في :

و أهل الذمة في الإسلام و بأن كثيراً من الظلم الذي لحق الأقباط مصدره أنفسهم ، ومرده الغيرة الدينية بين أتباع الدين الواحد . وقد أتبع ذلك بهاذج كثيرة للصراع بين الطوائف المسيحية وإيقاع كل منها بالآخر . وذكر سويرس ابن المقفع أن شهاساً اسمه بنيامين كان يتولى الدس للنصارى عند الأصبغ ابن عبد العزيز بن مروان ويطلعه على أسرارهم . وذكر في مكان آخر أنه في خلافة المعتصم بن هارون الرشيد حصلت وقيعة بين رؤساء النصارى ، ودسوا بعضهم لبعض ، فأمر والى مصر على بن يحيى الأرمني مهدم البيع أو دفع ثلاثة آلاف دينار .

والشيء الذي نحب أن نبرزه هنا ونجعله واضحاً هو أن الأقباط قد تمتعوا في ظل الحكم الإسلامي بحرية دينية لم بجدوها من قبل ، وأنهم باشروا – سواء تحت الأمويين أو العباسين – عبادا بهم بحرية تامة . وكل ماكان بحرص عليه الحكام في ذلك الوقت هو أن تترجم لهم دروسهم القبطية وصلواتهم ليتأكدوا أنها لا تحمل أي هجوم أو إهانة للإسلام . وقد عرف ذلك بوجه خاص أيام الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان الذي كلف أحد الشهامسة بترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية ، وكان يبحث عن كتب النصاري ويأمر بترجمتها له . وقد اعترف ترتون في كتابه و أهل الذمة في الإسلام ، بأن المسلمين عصر منذ البداية انجهوا إلى عدم احتلال أي كنيسة ، وعدم التدخل في شئون الأقباط ، وبأن عمرو بن العاص نفسه لم عد يده إلى أي شيء من أملاك الكنائس . وذكر أن أول كنيسة بنيت بالفسطاط أيام المسلمين كانت في ولاية مسلمة بن محلد (٤٧ – ٦٨ ه) وأنه لما أنشأ عبد العزيز بن مروان حلوان مسمح بإقامة كنيسة هناك ، ثم بنيت أخرى ، وبني ديران .

ومن الثابت تاريخياً أن محمد بن طغج الإخشيدى – على عكس ما أشيع عنه – كان يحسن معاملة المسيحيين ، وكان يشارك فى أعيادهم ويحضر احتفالاتهم الدينية . وقد ذكر المسعودى وصفاً لأحد هذه الاحتفالات فقال : و وقد حضرت سنة ٣٣٠ ليلة الغطاس بمصر والإخشيد محمد بن طغج أمير مصر في قصره المعروف بالمختار في جزيرة الروضة .. وقد أمر فأسرج في جانب الحزيرة وجانب الفسطاط ألف مشيل إلى جانب ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع .. » .

وضرب لتاسويرس بن المقفع أمثلة للاضطهاد الديني الذي عاناه المصريون عمت حكم الرومان ، ومنها قوله عن شخص يدعي و أغانون » : « وكان قساً في الكنيسة ، وهو من أهل مربوط . كان في زمن هرقل ينزيي بزى العلمانيين في مدينة الإسكندرية ، ويطوف في الليل يثبت الأرثذكسيين المختفين ويقضى حوائجهم .. وإذا كان النهار حمل على كتفه قفة فيها آلات النجارين ، وينظهر أنه نجار حتى لا يعترضوه المخالفون (كذا) » .

وقبل أن نترك هذا العامل نحب أن نشر إشارة خاطفة إلى أن كثيراً عما ألصة المستشرقون بالإسلام من الهامات في هذا الحصوص مرجعه سوء قراءتهم أوالتواء فهمهم للنصوص العربية وترجمتهم الخاطئة لمدلولها . وأكنى هنا بأن أذكر اسم المستشرقالشهير B. Evetts محقق كتابسويرس ابن المقفع السابق الإشارة إليه . لقد قرأ عبارة ابن المقفع و فأحصى جميع الرهبان . . وجعل عليهم جزية ٤ – قرأها : فأخصى وترجمها إلى الرهبان . . وجعل عليهم جزية ٤ – قرأها : فأخصى وترجمها إلى . . وسل عليهم على ذلك نتائج كثيرة (١) .

فإذا نحن انتقلنا إلى العامل الأخير ، نجد أن تفوق أى لغة وتمتعها بالهيبة يرجع إلى قيمتها الذاتية ، وفى حالة اللغة العربية نجد قيمتها عظيمة ، وتفوق إلى حد كبير القيمة الذاتية للغة القبطية فى ذلك الوقت. فهى من ناحية لغة الحكام ، ومن ناحية أخرى لغة النبى . وهى بالإضافة إلى ذلك لغة حضارة عظيمة وثقافة تفوق أختها القبطية . ويشير ، فندريس ، فى كتابه ، اللغة ،

⁽۱) انظر ۱/۱ه

إلى التفوق الذاتى الذى تنمتع به بعض اللغات، ومن بينها اللغة العربية، بقوله: و والقدرة على الانتشار التى نشاهدها فى بعض اللغات الهندية الأوربية أو السامية - كاللغة العربية مثلا- ترجع بلا شك إلى أسباب معقدة ، ولكن القيمة الذاتية للغة لها فى ذلك نصيب ه .

و يمكننا أن نقدر الفجوة بين اللغتين القبطية والعربية في هذا الصدد إذا أخذنا في الاعتبار الحقيقتين التاليتين :

أولا: أن اللغة العربية كانت قد انتشرت في كثير من أنحاء العالم وتمثلت ثقافات وحضارات كثيرة مما أعطاها ميزة ضخمة وقيمة كبيرة . وبمرور الزمن ازداد هذا العامل قوة ، فما أن جاءت العربية إلى معركتها الحاسمة مع القبطية حتى كانت قد أصبحت لغة ثقافة عالية .

ثانياً: أن اللغة القبطية فى فترة احتكاكها باللغة العربية كانت فى موقف ضعيف بشكل واضح. فقبل ذلك عدة طويلة كانت اللغة القبطية قد وقعت فريسة للغة اليونانية الني أصبحت فيا بعد لغة الكتابة. وهذا يعنى أن الأعمال الكتابية الهامة كانت تكتب باليونانية لا القبطية ، ويعنى بالتالى إضعاف اللغة القطبية الدرجة عظيمة.

ويقال كذلك إن لغة الثقافة فى مصر لم تكن القبطية ، بل كانت السريانية الني كانت تستعمل خاصة فى جامعة الإسكندرية العتيقة ، والني صارت مألوفة للدارسين بعد هجرة بعض الأساتذة السوريين إلى مصر وعملهم على نشر ثقافتهم .

ويقال أيضاً إن اللغة القبطية لم تكن وحدها لغة الحديث فى بعض أجزاه من مصر بما فيها الإسكندرية ، وإنهاكانت فى صراع دائم مع اللغة اليونانية على ذلك (١) . بل أكثر من هذا يقال إن اللغة القبطية كانت لغة الحديث

⁽١) عبد المسيح : الأساس المتين في ضبط لغة المصريين ص ٩٠ .

لعامة الشعب وغير المثقفين فقط ، وإن الطبقات الأرستقراطية كانت تفضل الحديث باللغة اليونانية (١) .

كذلك من الثابت أن الأقباط فى ذلك الوقت لم يكونوا غيورين بدرجة كبرة على لغتهم حتى إنهم تخلوا عن أحرفهم الهجائية فى القرن الرابع أو الحامس الميلادى واختاروا أبجدية جديدة استعبر معظمها من الأحرف اليونانية وأضيف إليها سبعة رموز من الكتابة الدعوتيقية لتعبر عن أصوات لا وجود لها فى اللغة اليونانية (٢).

ومن أجل هذا حين جاءت حركة الترجمة النشيطة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وبلغت قمتها ، لم بجد الباحثون شيئاً ذا بال يستحق الترجمة من القبطية إلا ما ندر . ولا توجد إشارات إلى ترجمات من القبطية إلى العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، اللهم إلا ما يتعلق بالديانة المسيحية . وربما كانت الترجمة الوحيدة التى وصلنا نصها هى تلك التى قام بها سويرس بن المقفع وأصحابه فى القرن الرابع الهجرى ، والتى أطلقوا عليها اسم : وسير الآباء البطاركة ، وتأخذ دائرة المعارف الإسلامية (مادة قبط) برأى Casanova أن الترجمة العربية للأعمال القبطية لم تتم إلا فى أيام الفاطمين . وتذكر الدائرة أن الأدب القبطى لم يكن أدباً راقياً ، وأنه عاش فى شكل ترجمات معظمها من اليونانية ، مثل ترجمة العهد القديم والعهد الحديد وقصص حياة الأولياء والقديسن .

فإذا نحن أردنا أن نحلل هذه العوامل ، ونرتب تلك الأحداث ترتيباً

⁽۱) انظر جاك تاجر : أقباط و مسلمون ص ٣٠٤ ، و انظر أيضاً : بهى الدين زيان : خياة الدّر في مصر إلى القرن الرابع الهجرى (رسالة دكتور اه بكلية الآداب جامعة القاهرة) ص ١٠٠١ - ١٠٠٢ ، وعبد الرزاق حميدة : الأدب العربي في مصر ص ١٧٠.

A.C. Moorhouse من ١٦ ميد المسيح : الأساس المتين ص ه - ٩ و انظر أيضاً ص ٢٦ من D. Diringer : The Alphabet : وص ٤٧٠ من The Triumph of this Alphabet

الفصّل الثاني المرحلة الأولى من الصّراع مرحلة الماوشة

تحدد هذه المرحلة بفترة ما بين الفتح الإسلامي (سنة ٢٠ ه) و القرن الأول الهجرى (٧١٨ م) . وفيها وجد تبادل بين اللغتين العربية والقبطية و تأثير من كلا الحانبين على الآخر . وعلى الرغم من تأييد اللغة العربية بالعرب الفاتحين ، فقد كان ميز ان القوى متعادلا لمعظم الوقت ، ولم تنمكن أي من اللغتين من إحراز نصر بذكر على الأخرى . وكانت الأسباب التي أدت إلى هذه النتيجة ما يأنى :

١ – حسن معاملة العرب للمصريين . فعلى عكس ما ذكره المؤرخون الأقباط تؤكد أوراق البردى التي يرجع عهدها إلى الفتح الإسلامي والتي كشفت حديثاً – حسن معاملة العرب للأقباط ومسلكهم المشرف حيال أهل الذمة . ولدينا وثيقتان مهذا كشفهما البروفسر جروهمان يرجع ناريخهما إلى عام ٢٢ ه = ٣٤٢ م . وإحدى الوثيقتين مكتوبة باللغة اليونانية وقد كتبها الشهاس يوحنا مسجل العقود وألحق مها نص آخر باللغة العربية . ويقول النص العربي : و يسم الله الرحمن الرحم ، هذا ما أخذه عبد الله بن جابر وزملاؤه المحاربون من النعاج للذبح في همراكليوبولس . لقد أخذنا من أحد وكلاء تيودوراكس النجل الثاني لآباقيرس ومن نائب خريستوفورس أكبر أنجال آيا قيرس خمسين نعجة للذبح ، وخمس عشرة نعجة أخرى . وقد أعطاها لإطعام رجال مراكبه وفرسانه وقوات مشاته تحرر في شهر جمادي

الأولى سنة ٢٧ وكتبه ابن حديد ، اوجاء في ظهر الورقة ما نصه : وشهادة بتسلم النطائج للمجاربين ولغيرهم بمن قدموا البلاد وهذا خصيا (كذا) عن جزية التوقيت الأول ، وقد على جزوهمان على الله في قد إن هذه المعاملة إزاء شعب مغلوب قلما نراها من شعب منتصر ، وقد كتب ميخائيل السورى بطريرك البعقوبيين في أنطاكية يقول : و إن رب الانتقام استقدم من المناطق الحنوبية أبناء اسهاعيل لينقذنا بواسطتهم من أيدى البونانيين ، وقد أصابنا خبر ليس بالقليل بتحررنا من قسوة الرومان وشرورهم ، ومن غضبهم وحفيظتهم علينا . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى سادت الطمأنينة عضبهم وحفيظتهم علينا . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى سادت الطمأنينة وكانت الشعوب فرحن مثل العجول الصغار إذا حل رباطهم وأطلقوا على ألبان أمهاتهم ، ويعلق الدكتور جاك تاجر على وصف سويرس بن المقفع بغوله : ووسويرس على حق في وصفه لأن الأقباط لم يعاملوا هذه المعاملة بغوله : ووسويرس على حق في وصفه لأن الأقباط لم يعاملوا هذه المعاملة اللينة من مدة طويلة . أضف إلى ذلك أن العرب أثناء ولاية عمرو لم يحاولوا أن يضغطوا على الأقباط لم يعتنقوا الإسلام ولم يضطهدوهم (٢) ه .

۲ – استمرار استعمال اللغة اليونانية (أو القبطية) بوصفها لغة رسمية حتى عام ۸۷ هـ = ۷۰٦ م عندما أصدر والى مصر إذ ذاك وهو عبد الله بن عبد الملك بن مروان أوامره بإحلال العربية محلها (۳) . وفى التوعزل رئيس الديوان القبطى وكان اسمه أثناسيوس وحل محله ابن يربوع الفزارى الحمصى . وتشير المصادر العربية إلى أن اللغة الرسمية إذ ذاك كانت القبطية وحدها ، فى حين أن الباحثين الأوربيين يرون أنها كانت اليونانية فقط . والذى يبدو لى أن كلتا اللغتين كانت مستعملة فى الكتابة فى ذلك الوقت ،

⁽١) جاك تاجر :أقباط ومسلمون ص ١٨ ، وإنظر أيضاً ص ٦١ .

 ⁽۲) المرجع نفسه من ۷۳ رانظر أمثلة أخرى في (انجتمعات الإسلامية في القرن الأول)
 فشكرى فيصل من ۱۱۹ و ما بعدها .

⁽۲) المقریزی : الحطط۱/۹۸ ، والولا: الکندی ص ۸۵ – ۹ ه

اليونانية بوصفها اللغة الرسمية في الدواوين والمصالح الحكومية ، والقبطية بوصفها لغة العامة وكانت تكتب ما عقودهم وخطابا م و ١٩٥ هـ و٧٧ م أن من بعض الوثائق المكتوبة بن سنتي ٥٦ هـ و ١٩٥ م و ١٩٥ هـ و٧٧ م أن كلتا اللغتين كانت تستعمل جنباً إلى جنب ، وأحياناً مع اللغة العربية . والنسبة الكرى في مجموعة من هذه الوثائق كانت باللغة القبطية (٨٥ ٪ بالقبطية و ٩ ٪ باليونانية و ٦ ٪ بالعربية (١)) ولكن هناك وثائق أخرى كتبت باليونانية فقط . ولم يكن من الممكن – بالطبع – أن يتم تعريب الدواوين بين يوم وليلة ، ولهذا فنحن نقرح السنوات العشر الأولى من القرن الثانى الهجرى أو نحوها حيما أصبحت اللغة العربية لغة المصالح الحكومية إمابالكلية ، أو كلغة أولى في الوثائق ذات اللغتين . ومع ذلك فقد عثر على وثبقة من وثائق الردى كتبت باللغتين اليونانية والعربية وبرجع تاريخها إلى عام ٢٧ هـ (٢) ، أي نحو ٦٥ عاماً قبل المحاولة الرسمية لتعريب الدواوين في مصر . ومن تلك الوثبقة عكننا أن نقول إن استعمال اللغة العربية في الوثائق الرسمية (ولكن كلغة ثانية) كان قد بدأ إن لم يكن مع الفتح الإسلامي فبعده بقليل . وأول وثيقة كتبت كاملة باللغة العربية يرجع تاريخها إلى عام ٩٠ ه و ٧٠٩ م .

٣ - أما العامل الثالث من عوامل التعادل بين اللغتين العربية والقبطية خلال القرن الأول الهجرى فيرجع إلى وضع الأقباط الوظيني في الدولة. فقد حل الأقباط في إدارة البلاد محل الروم الذين غادروا مصر ، والذين كانوا يشغلون كثيراً من الأعمال فيها ، كما ظلوا في وظائفهم العامة كما كانوا قبل الفتحسواء يسواء ، فكان منهم حكام المحافظات ورؤساء الدواوين وصغار الموظفين . ومن هؤلاء عامل يدعى ميناس كان هرقل قد ولاه أعمال المنطقة الشمالية من البلاد واستبقاه المسلمون في عمله . وهناك آخر اسمه شنودة وكلت إليه

⁽۱) انظر ص ۸ من: P.E. Kahle : Bala'izah (۱)

⁽٢) سبق نص الو ثيقة .

إلى ١٠١ه = ٧١٩م)، أوامره بإحلال المسلمين أوالعرب محل الأقباط. ونتيجة لذلك و نزعت موازيت القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها(١). ولكن يبدو – على أى حال – أن هذه الحركة لم تكن شاملة فى أى عصر من عصور التاريخ بدليل أننا نجد من بين أسهاء محصلي الضرائب فى القرن الثالث الهجرى أسهاء قبطية من مثل مينا بن شنودة وسويرس بن زكريا ويوحنا بن ميناء. ومن الثابت كذلك أن رؤساء المالية ظلوا أقباطاً طوال العصر الأموى.

٤ — كان عدد العرب قليلا طوال هذا القرن إذا قيس بعدد السكان الأصلين. فقد كان عدد قوات الحيش العربي الفاتح بأمداده المتعددة يتراوح بن انبي عشر ألفاً وستة عشر ألفاً يعيشون على العطاء الذي تصرفه الحكومة لهم . وبعد الفتح نظمت لهم خطط في الفسطاط ونزلت كل قبيلة خطة ، أي جهة معينة أو قدما من أقسامها ، وعرف كل قسم باسم القبيلة أو الجماعة التي نزلت فيه . ولم نحرج عن الفسطاط من جيوش الفتح إلا عدد قليل من القبائل مثل همدان التي نزلت في الحيزة ، وعدد آخر نزل بالإسكندرية . وفي خلافة معاوية كان بالفسطاط أربعون ألف عربي، وفي الإسكندرية النا عشر ألفاً زيدت إلى سبعة وعشرين ألفاً بعد شكوى قائدها من قلة العدد . ومع أننا نعترف بأن أرقام هؤلاء الحنود لا تدل على عدد العرب الحقيقيين في مصر لأن المصادر التاريخية ربما أغفلت ذكر جماعات عربية استوطنت مصر أيام الفتح غير هؤلاء الحنود، وذلك مثل قبيلة و بلى والتي استوطنت مصر أيام الفتح غير هؤلاء الحنود، وذلك مثل قبيلة و بلى والتي نقلت بعض بطونها من الشام إلى مصر في أيام عرب بن الحطاب وأقاءت ناصعيد (۱) ، فإنه من الواضح أنه حتى مع مضاعفة التقدير فإن عدد العرب بالصعيد (۱) ، فإنه من الواضح أنه حتى مع مضاعفة التقدير فإن عدد العرب بالصعيد (۱) ، فإنه من الواضح أنه حتى مع مضاعفة التقدير فإن عدد العرب بالصعيد (۱) ، فإنه من الواضح أنه حتى مع مضاعفة التقدير فإن عدد العرب بالصعيد (۱) ، فإنه من الواضح أنه حتى مع مضاعفة التقدير فإن عدد العرب بالصعيد (۱) ، فإنه من الواضح أنه حتى مع مضاعفة التقدير فإن عدد العرب بالصعيد (۱) ، فإنه من الواضح أنه حتى مع مضاعفة التقدير فإن عدد العرب بالصعيد (۱) ، فإنه من الواضح أنه حتى مع مضاعفة التقدير فإن عدد العرب المسلم المسرون الواضح أنه حتى المعرف ألفه المناس المسلم المسرون الواضح المسرون المسلم المسلم المسرون الم

⁽۱) كان القطر المصرى مقسما إلى أجزاءكل منها يسمى «كورة » ، و على رأمهاكان صاحب الكورة . . ر مساعد،كان بحمل اسماً يونانياً هو » جسطل أو » مازوت ، و يذكر الدكتور ، راد كامل أن كلمة « مازوت » لا تينية أو يونانية الأصل وأن ممناعا » قاض » . (ص ٧١) .

⁽۲) انظر البيان و الاعراب ص ۹۷ .

لن يبلغ فى أى فترة من فترات هذا القرن عشر معشار عدد السكان الأصليين الذين يزيدون فى أقل تقدير على سبعة ملايين نسمة (١).

وبالإضافة إلى القلة العددية كانت هناك أوامر مشددة على الجنود ألا يستكينوا إلى الراحة ، وأن يظلوا فى وضع استعداد دائم ، أو على حد تعبير عمرو بن العاص و واعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم إليكم وإلى دياركم معدن الزرع والمال والحير الواسع (٢) . كذلك أمروا ألا ينزلوا الريف إلا فى وقت الربيع لينالوا من وخيره ولبنه وخرافه وصيده ، وليسمنوا خيولهم ويطعموها . ومن تحذيرات عمرو فى هذا الشأن : ، ولا أعلمن أحداً قد أسمن نفسه وأهزل فرسه . واعلموا أنى معترض الحيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسه من غير علة حططت من فريضته قدر ذلك ، وقد روى ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب أنه أمر مناديه أن غرج إلى أمراء الأجناد ويسألهم أن نخبروا الرعية أن عطاءهم قائم وأن رزق عيالهم سائل فلا يزرعون . وروى ابن وهب

⁽۱) تختلف المراجع فى تقدير عدد المصريين الذين كانوا بمصر أيام الفتح وليس هناك أى دليل على ترجيح أحد الآراء على الآخر . وقد قدر هم جرجس فيلوثا،وس بثلاثين مليو تأ (اللغة القبطية سنة ١٩١٦ ص ١٢) وقدر تهم دائرة الممار ف الإسلامية بحوالى أربعة و عشرين مليونا (ص ١٩١٧ مادة Kibt) . و إذا أر دنا أن نقدر عددهم بناء على مقدار الجزية الذي جمعه عمرو بن العاص صادفتنا صعو بة أخرى هي أن المراجع تختلف في هذا المقدار على الوجه الآتى :

⁽أ) ذكر البلاذرى فى فتوح البلدان أن خراج مصر زمن الفتح كان ألنى ألف دينار أى أن من و جبت عليهم الجزية (و هم من عدا الأطفال و النساء والعجائز) كان عددهم مليون نسمة ، بو اقع دينار ين تمفر د الواحد.

⁽ب) أما ابن عبد الحكم في فتوح مصر فقد قدر عدد من وجبت عليهم الجزية دستة ملايين نسمة وكذلك فعل السيو طي في حسن المحاضرة .

⁽ ج) ذكر المقريزي في الخطط (١ / ١٣٦ ط لبنان) أن عدد من دفعوا الجزية كانوا ثمانية ملايين شخص .

 ⁽٢) انظر حسن المحاضرة (ط الشرفية) ١٧/١ .

أن شريك بن سمى الغطنى أنى عمرو بن العاص فقال : إنكم لا تعطوننا ما يكفينا ، أفتأذن لى فى الزرع ؟ قال عمرو : ما أقدر على ذلك. فزرع شريك من غير أمر عمرو فكتب عمرو إلى عمر يخبره بذلك فكتب إليه أن أبعث إلى به فبعث به إليه فقال له عمر : و لأجعلنك نكالا لمن خلفك » . وحيث كان معظم العرب يعملون كأفراد فى القوات المسلحة وينظر إليهم على أنهم غزاة فاتحون فإننا لا نتوقع قيام علاقات طيبة – لبعض الوقت – بينهم وبين الأقباط . أما العرب الذين لم يفدوا بوصفهم جنداً عاملين فكانوا قلة ، وتفرقوا فى البلاد ، فنزل بعض من و لحم » و و جذام » بالحوف الشرقى (١) ، وبعض من و بلى » بسوهاج واستقرت جهينة فى الصعيد ، وبعضهم نزح وبعض من ومن أشهر المناطق التى سكنتها القبائل الأولىكذلك الفيوم ومنسا وبوصير وسخا وإترب ومنوف وسمنود وطحا .

و النصف الثانى من هذا القرن فرضت ضريبة على الرهبان لأول مرة ، وقد فرضها عبد العزيز بن مروان فى عام ٦٥ ه = ١٨٥ م وقدرها دينار عن كل فرد بحجة أنه ليس من العدل أن تدفع الطبقات الفقيرة الضرائب ويعنى منها الرهبان والمطارنة والبطاركة الذين بملكون ثروات ضخسة . واستناداً إلى ما ذكره المؤرخ القبطى سويرس بن المقفع ، فرض الأصبغ ابن عبد العزيز بن مروان (توفى عام ٨٦ ه = ٥٠٧م) الذى كان نائباً عن والده عبد العزيز بن مروان فى حكم مصر خلال فترة ولايته ضرائب على الرهبان الأقباط وأراضيهم ، وقبل عهده لم تكن هناك أى ضرائب مفروضة عايهم (٢).

⁽۱) يشمل الحوف الشرق القرى الواقعة على الجانب الشرق من الوجه البحرى و بلبيس ركان يشمل كل البلاد النابعة الآن نحافظتي القليوبية و الشرقية ، و ما يقع إلى شرق مركز السنبلادين وأجا و بلاد مركز ميت غمر يمحافظة الدقهلية .

⁽٢) يبدو أن الضريبة الأولى التي فرضها عبد العزيز بن مروان على الرهبان عي هذه الضريبة التي زرضها الأصبغ.أما إذا اختلفت فلعل الأولى كانت تقابل ما يسمى بالجزية أو ضريبة ،

كذلك قال سويرس بن المقفع إن الأصبغ أمر حكام المحافظات وموظفيها في كثير من مدن مصر العليا والسفلي أن يعتنقوا الإسلام أو يغادروا وظائفهم ، وقد كانمن نتائج هذه السياسة ذات الشقين أن دخل كثيرون دين الإسلام، منهم « بيتر » حاكم الصعيد ، وأخوه « تيودور ، حاكم مربوط وعدد لا محصى من القسس وعامة الشعب .

ومن الطبيعى ألا يظهر أثر هذا العامل فى خلال تلك الفترة وأن تظهر نتائجه فى المرحلة التالية .

وباستثناء هذا المثال الواحد لم يكن هناك ضغط مباشر على الأقباط ليكونوا مسلمين ، وإنما كان عليهم أن يدفعوا نوعاً أو أنواعاً معينة من الضرائب(١).

⁼ الرءوس ، أما الثانية فكانت تقابل ما يسمى بالخبراج أو ضريبة الأرض. و يبق قو لـموبوس « و قبل عهد، لم تكن هناك أى ضر اثب مفر و ضة عليهم » في حاجة إلى نظر .

⁽١) كان على الأقباط أن يدفعو ا نوعيز من الضر اثب :

۱ - الجزية أو ما يسمى بضريبة الرموس. وتذكر المصادر العربية أن مقدارها ديناران في العام على كل شخص باستثناء النساء و الأطفال و الشيوخ. و لكن أو ر اق البر دى تثبت أنها كانت تقدر على حسب أو و ة الشخص و ليست ثابتة. و يبدو أن ما ذكر ه المؤرخون العرب عن هذا المقدار ما هو إلا متوسط ما يؤديه دافعو الضر انب ليس إلا. و معنى هذا أن الجزية المفروضة على كن قرية كانت تؤخذ بضر ب عدد الرءوس في اثنين ، ثم يقدم النانج على أبناء القرية بحسب ثروة كل فر د. و قد ثبت من قو اثم الضر ائب المكتوبة باللغة اليونانية و التي يرجع تاريخها إلى القرن الأول للهجرة أنه كانت تحصل أحياناً مبالغ أقل من دينار ين بل أقل من دينار وقد يصل الرقم المحصل إلى أربعة دنانير إذا كان الشخص من ذوى الثراء.

۲ - ضریبة الأرض ، و كانت تخلف من و قت إلی و تت تبها الدرجة الفیضان السنوی من ناحیة، و لسیاسة كل حاكم من ناحیة أخری (انظر النجوم الزاهر ة ۲۹/۱، و فتح العرب لمصر ابتلر ص ۳۹۲ و ۳۹۰ ، و الأعلاق النفیسة لابن رسته ص ۱۱۸ و ۱۱۹ (لیدن ۱۸۹۱) ، و دائرة الممارف الإسلامیة مادة Egypt ص ۱۱، و Lane Poole فی المسالف من ۱۹ و ۲۰ و ۲۰ ، و ابن حوقل : المسالف و الممالف ص ۸۸ و ۹۸و ۱۰۷ و ۱۰۸ ، و المغطط للمقریزی : إغاثة الأمة ۱۳ - ۱۸ ، و الخطط للمقریزی ۱۸۸ و ۹۹ و شكری فیصل ص ۱۲؛

7 - وبجب أن نذكراسم عمر بن عبد العزيز مرة أخرى فى هذه المرحلة لأنه كان أول من ألغى ضريبة الرءوس على الأقباط إذا اعتنقوا الإسلام ورفض فى ذلك أن يأخذ بمشورة من نصحوه باستمرار تحصيل الجزية نظراً لاز دياد من يعتنقون الإسلام . وقد رد عليهم بقولته الشهيرة : " إن الله إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه جابياً . ولعمرى لعمر أشتى من أن يدخل الناس كلهم الإسلام على يديه ".وقد أدت هذه السياسة إلى إغراء بعض الأقباط بالدخول فى الإسلام . ولكن مرة ثانية ، لم يظهر أثر هذا العامل خلال هذه المرحلة .

البلاد خلال القرن . ولم تحدث موجات ذات بال ماعدا تلك التى سبقت الإشارة هذا القرن . ولم تحدث موجات ذات بال ماعدا تلك التى سبقت الإشارة إليها ، وماعدا موجات الدخول فى الإسلام التى قام بها العرب الحاهليون المقيمون عصر . وقد أشار المؤرخون بالنسبة للقسم الأخير إلى أن عدداً كبيراً من هؤلاء العرب لم يتر ددوا فى تأييد إخوانهم الفاتحين ، وفى تعويض عمرو ابن العاص عن خسائره خلال الفترة الأولى من الصراع .

وكانت النتيجة الحتمية لتلك العوامل المتضاربة أن حققت اللغة العربية بعض النصر على حساب اللغة القبطية التى فقدت بدورها شيئاً من قولها في صراعها من أجل الحياة . وإن بقاء اللغتين جنباً إلى جنب ، وفشل أيهما في القضاء على الأخرى ، لا يعنى أنهما كانتا في حالة ركود ، فمن المتوقع أن يكون قد حدث بينهما نوع من التأثير المتبادل ، ومن غير المشكوك فيه أن تكون كل لغة قد تركت شيئاً من معالمها على الأخرى .

الفصّلالثالث المرحلة الثانية من الصراع مرحلة التقدم

أما المرحلة الثانية فمن الممكن أن تحدد نهايتها بعام ٢١٥ هـ = ٨٣٠ م. والعلامة المميزة لهذه المرحلة أنه بنهايتها كان ميزان القوى قد اختل لصالح اللغة العربية التي حققت نجاحاً كبيراً. أما الأسباب التي أدت إلى هذه النتيجة فهي كما يلي :

١ – ازدياد حركة التعريب للدولة ، وإحلال العرب أو المسلمين على الأقباط . وقاد أدت هذه الحركة بالأقباط إلى أن بهملوا تدريجياً دراسة اللغتين اليونانية والقبطية ، وأن يسرعوا فى تعلم اللغة العربية لتفتح أمامهم فرص العمل ، أو ليحتفظوا بما فى أيديهم من وظائف . ولم تؤد حركة التعريب إلى أى تذمر أو احتجاج من الأقباط ، إذكان التعريب انتقالا من لغة أجنبية هى اليونانية إلى لغة أجنبية أخرى هى العربية . وكما تعلم الأقباط اليونانية واستعملوها فى الدواوين على الرغم من أنها ليست لغتهم ، لماذا لا يتعلمون العربية ويستعملونها فى الدواوين بدلا منها وهى لغة المنتصرين ، ولغة سوف تفتح أمامهم أبواب الرزق ؟

وليس هذا فحسب ، فإن بعض الأقباط لم يقنع بتعلمه اللغة العربية ، وأراد أن يذهب خطوة أبعد فى التقرب إلى الحكام فاعتنق الإسلام ، ولم يكتف بعضهم بالإسلام فحاول أن ينتسب إلى إحدى القبائل العربية عل ذلك يشفع له عند الناس ويجعله ينعم بالمساواة بينهم .

- ٢ إحكام الحصار على الأقباط لمنعهم من الفرار من دفع الجزية بأى وسيلة من الوسائل عدا اختيار الإسلام ، ولإحباط مساعيهم فى التهرب من دفع التزاماتهم المالية . وقد لجأ الأقباط إلى حيل متعددة قوبلت بردود أفعال مناسبة :
- (أ) فقد زاد عدد الأقباط الذين ادعوا حقهم فى الإعفاء من دفع الجزية بحجة ترهبهم أو انتسابهم إلى الكنيسة ، ثما أدى بالوالى إلى فرض جزية مقدارها دينار على كل نسمة ، كما قام بإحصاء جميع الرهبان فى كل الكور وأمر ألا يرهب أحد بعدهم .
- (ب) ولجأ بعضهم إلى تغيير محال إقامتهم بعد أن انتهت السلطات من تعداد السكان ، وأقاموا فى نواح أخرى لم تدرج أسماؤهم فى قوائم الضرائب فيها ، مما أدى بالوالى أن يصدر أوامره المشددة بعدم السماح لأحد بالسفر أو الانتقال من قرية إلى قرية بدون أن يكون حاملا لحواز سفر ، وتغريم من يضبط بدونه مبلغ خمسة دنانير . كذلك صدرت الأوامر بألا يسمح لقافلة بالانتقال من مكان إلى آخر مالم تكن حاملة لإذن كتانى وإلا تعرضت المصادرة .
- (ج) كذلك لحاً بعض المزارعين إلى هجر أراضيهم وقراهم بحجة عدم استطاعتهم الوفاء بالنزاماتهم المالية (١) ، فاضطرت الحكومة

⁽۱) تلقى أوراق بردى «كوم أشقار » شماعاً من النور على هذه الحركة التي كان محورها الزراع ، وكان الوالى يأمر بإعادتهم إلى قراهم الأصلية . فنر أه يكتب إلى صاحب « أشقوه ه أنه علم بوجود جالية فى أرضه ويطلب منه أن ير دها إلى أرضها الأصلية . ونر أه يرسل منهوبين النظر فى حركة الحرب ، ويطلب من صاحب الكورة أن ييسر مهمتهم، وأن يرسل ممهم دجالا ثقات يعرفون الكنابة ليقوموا فى حضرتهم بكتابة أساه الهاربين وألقابهم ، وايبينوا أيضاً من أين هربوا وإلى أى جهة ذهبوا . (انظر : د . سيدة إساعيل كاشف : مصر فى فجر الإسلام مس ٢٢٨) .

- إلى تتبع هؤلاء المهاجرين وردهم ، أو إلى تهجير بعض القبائل العربية وإحلالها محلهم كما سنتحدث فها بعد .
- (د) وقام بعضهم بثورات دمویة قوبلت بشدة ، وأخمدت بقسوة ، ومن ذلك ثورات أعوام ۱۰۷ و ۱۲۱ و ۱۳۲ و ۱۳۵ و ۱۵۰ و ۱۵۲ هجریة (۱).
- ۳ تنابع هجرات القبائل العربية إلى مصر لأسباب مختلفة بعضها سياسى وبعضها دينى وبعضها اقتصادى . وقد حدث هذا بشكل مطرد خلال تلك الفترة . وأحصى ماك ميكل ما أمكن التعرف عليه من القبائل التى وفدت إلى مصر فى الفترة ما بين سنة ١٣٣ ه إلى ٢٤٢ ه فوجدها تبلغ ثلاثا وثلاثين قبيلة متفرقة فى فروع مختلفة . و > كن التمثيل لحذه الحجرات بما يأتى :
- (أ) قبيلة لحم التي رحل بعضها مع الفاتحين إلى مصر ثم دخلت قبائل كثيرة منهم في القرنين السابع والثامن ، وحطت رحالها في جهات الإسكندرية ، وقد كان منهم أمير حكم مصر عام ١٣٣ هـ، ٧٥٠ م. وقد كان تعيين وال من قبيلة معينة من أكبر الفرص للمهاجرة فقد كان برافقه مالا يقل عن عشرين ألف متماتل من قبيلته .
- (ب) قيس عيلان التي رحل بعض منها إلى مصر عام ١٠٩ هـ = ٧٧٧ م بأعداد كبيرة تصل إلى ثلاثة آلاف شخص في رواية، وخمسة آلاف في رواية أخرى . ونزلوا بالحوف الشرق (٢)، وصرف لهم الوالي

⁽۱) ذكر المقريزي أن أولى ثورات القبط حدثت عام ۱۰۷ هـ ، و لكن أوراق البردي _ تتحدث عن ثور : في الصعيد أسبق من ذلك حدثت في عام ۹۴ هـ = ۷۱۲ م .

⁽۲) يرى المقريزى أن قليلا من أفراد قيس كانوا قد أنوا مصر قبل تهجير من هجرتوا فى عهد الوليد بن رفاعة الفهمى . و يخالف ماك ميكل فى ذلك لأنه يرى أن ثلاثة من الحكام القيسين حكموا مصر قبل الوليد بين سنى ٩١ و ١٠٠ ه، منهم اثنان من فهم وي أحد من عبس . و لا يمكن أن يحكموا من غير أن يكون قد صاحبهم عدد كبير من قبائلهم .

مرتبات من أموال الصدقة والعشور ، وأمرهم بالزرع وتربية الإبل والحيول . وكان يتحصل للرجل منهم في الشهر نحو عشرة دنانير ، ولم يكن عليهم مؤنة في علف إبلهم ولا خيولهم لحودة مرعاهم . وتضاعف عددهم فيا بعد بشكل ملحوظ ، فسرعان ماتسامع باقي أفراد القبيلة نخصب الأرض وكثرة خيراتها فهاجر عدد آخر يبلغ خمسمائة أسرة ، ثم بعد سنة أتي نحو خمسمائة أسرة أخرى، وهكذا . وقد حقق تهجير هذه القبيلة أهدافاً كثيرة أهمها :

- (أ) الإقامة فى منطقة الحوف الشرقى التى قام أهلوها الأقباط بنورتهم الأولى عام ١٠٧ هـ حتى يكونوا عامل تعادل فى المنطقة .
- (ب) محاولة عمل تعادل من نوع آخر يتم هذه المرة بين القبائل السبئية والعدنانية. فقبل هذه الهجرة لم يكن بأرض مصر من قيس إلا عدد قليل من فهم وعدوان.
- (ج) المساعدة على انتشار الإسلام ، إذ سكنت موقعاً آهلا بالسكان الأقباط . على عكس ماحدث من قبل لمعظم القبائل العربية التي لم تختلط بسكان الريف والقرى إلا قليلا ، ثما جعل انتشار الإسلام في القرن الأول محدود الأثر .
 - (د) حلها فى الزراعة محل المزارعين الذين تركوا أرضهم ، ورحلوا إلى أماكن أخرى ، فكان جزء من مهمتهم ملء الفراغ الذى تركه السكان الأصليون .

وهكذا كان تهجير هذه القبيلة بأعداد ضخمة – بالإضافة إلى موقع سكناها – عاملا كبيراً من العوامل التي أدت إلى سرعة إدماج العنصر العربي في العنصر المصرى، وأصبحنا نرى في الوجهين البحرى والقبلي عرباً تزوجوا من نساء قبطيات اعتنقن الإسلام ، كما أصبحنا نرى علاقات اجتماعية طببة

بين العرب وغيرهم . وهذا ولاشك أعان على انتشار الإسلام بشكل واسع وبسرعة ملحوظة .

٤ از دیاد عدد الداخلین فی الإسلام فرادی و جماعات نتیجة لأسباب کثیرة ، أهمها :

- (أ) قوة الحركة الدينية ونشاط الدراسة الإسلامية والعربية فى مصر فى ذلك الوقت، وامتلاء مصر منذ أواخر القرن الأول بعلماء الدين والقراء والمفسرين والمحدثين، على نحو ما سنفصله فى الفصل الحامس من هذا الباب.
- (ب) كان هناك حركة فردية بين المفكرين في تقبل الإسلام . فقد استجاب له كثيرون من الذين كانوا محسون أعمق القلق في حياة المسيحية ويعانون أقسى الآلام حين يرون أمام أعينهم تطاحن فرقها وتنازع مذاهبها . وقد كتب بتلر في شأن هذا اللون من الناس يقول: و وأما الحقيقة المرة فهي أن كثيرين من أهل الرأى والحصافة قد كرهوا المسيحية لما كان منها من عصيان لصاحبها ، إذ عصت ما أمر به المسيح من حب ورجاء في الله ... ومنذ بدا ذلك لهو لاء العقلاء لحأوا إلى الإسلام فاعتصموا بأمنه واستظلوابو داعته وطمأنينته وبساطته (١) ».
- (ج) الإغراء المادى المتمثل فى الإعفاء من الجزية كما سبق أن أشرنا . وكان هذا الإغراء متمثلا بشكل أوضح فى المدن ، وبين أرباب الوظائف ، وأصحاب المهن غير الزراعية ، لأن معنى إعفائه من الجزية إعفاؤه الكامل من دفع أى ضريبة للحكومة . أما إعفاء الفلاح من الجزية فلم يكن يعفيه من دفع ضريبة الأرض المعروفة باسم ، الحراج ، فالجراج كان مربوطاً بالأرض يتحمله صاحبها حتى لو أسلم

⁽١) انظر شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ١٥٣.

أو باعها لمسلم. ولهذا يقول المستشرق دى ساسى : و لعل ذلك أحد لأسباب التى دعت إلى بقاء المسيحية فى الأقاليم مدة أطول منها فى المدن ، كذلك كان فقد الرهبان لامتياز اتهم المادية عاملا من عوامل از دياد اعتناق الإسلام بينهم ، مما أدى إلى تناقص عدد الرهبان ، وهجر الأديرة شيئاً فشيئاً حتى صارت خراباً (١).

- (د) يقول المقريزى: لم ينتشر الإسلام فى قرى مصر إلا بعد المائة من تاريخ الهجرة عندما أنزل عبيد الله بن الحبحاب مولى ساول قيساً بالحوف الشرق. فلما كان بالمائة الثانية كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها. وقد سبق حديثنا عن الهجرات العربية وبيان أهميتها فى نشر الإسلام.
- (ه) وقد تعدث سويرس بن المقفع عن موجات عدة من الدخول في الإسلام تمت في تلك الفترة . وهذه الموجات من وجهة نظر علم النغة بغض النظر عن أسباسا الحقيقية قد قوت إلى درجة كبيرة من مركز اللغة العربية . ونحن نشير هنا إلى الحالتين الآتيتين اللتين ذكرهما ابن المقفع :
- ١ فى ولاية حفص (بين عامى ١٢٤ هـ = ٧٤١ م و ١٢٨ هـ =
 ١ عتنق الإسلام آلاف من الأقباط يبلغ عددهم أربعة وعشرين ألفأ. ١٠.

۲ – فی ولایة عون (من ۱۳۳ ه = ۲۰۰ م إلی ۱۳۳ ه = ۲۰۰ م ومن ۱۳۷ ه = ۲۰۵ م إلی ۱۶۱ ه = ۲۰۸ م) فرضت ضرائب باهظة علی

⁽١) جاك تاجر ص ٨٨ ، وانظر شكرى فيصل ص ١٥٣ و ١٥٤ . ومصر الإسلامية للخربوطلي ص ٣٠ .

 ⁽۲) يبدو أن سبب اعتناق هذا العدد الكبير الإسلام في عهد حفص أنه نادى بإعفاء كن دى
 من دفع الخراج . انفار : ترتو ن في كتابه : أهل الذمة في الإسلام صن ۳۸ .

الْأَقْبَاطُ لَدْرَجَهُ أَنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ تَخْلُوا عَنْ دَيْنِهُمُ الْمُسْيَحِيُّ وَتَبْعُوا عَبْدُ الله (١) .

ولسنا نزعم أنه بانتهاء هذه الفترة كان كل شخص يعرف اللغة العربية .
ولكننا نزعم على الأقل أنه بانتهائها كان كل شخص يعرف العربية بحس بمكاننه في المحتمع ويشعر أنه ابن من أبنائه خلاف من أصر على تمسكه بلغته الأصلية ،
ولم يحاول تعلم اللغة العربية فقد أحس بانفصال عن المحتمع ، وشعر بغربة لا يمكن أن نعس بها الشخص في وطنه . وأقرب مثل لذلك ما ذكره الشهاس يوحنا أنه بيما كان موسى مطران أوسيم في طريقه للمثول بين يدى الخليفة مروان الذي لحأ إلى مصر عام ١٣٢ ه = ٥٧٠ م ألقاه الحند أرضاً وأخلوا يضربونه على عنقه وعلى أضلاعه .. ولم يستطع المطران أن يتفاهم معهم لأنه يضربونه على عنقه وعلى أضلاعه .. ولم يستطع المطران أن يتفاهم معهم لأنه .

⁽١) يمنى الخليفة أبا جعفر عبه الله بن محمد .

الفصل الرابع المرحلة الثالثة من الصراع مرحلة النصر

هى آخر مراحل الصراع والتوتر ، وقد شملت بقية القرن الثالث الهجرى ومعظم القرن الرابع أو جميعه ، وتلتها مرحلة من الهدوء والاستقرار بدأت مع القرن الخامس . ويرجع ذلك للعوامل الآتية :

١ – ازدياد الهجرات العربية خلال هذه المرحلة . ومن أشهر القبائل
 المهاجرة في تلك الفترة :

(أ) قبيلة الكنز . فني سنة ٢٤٠ = ه ١٥٤ م في خلافة المتوكل حلات هجرة كبيرة إلى مصر من ربيعة ، حيث جاءت قبيلة الكنز وهي إحدى بطون ربيعة ، وتفرق رجالها في جهات كثيرة ، ونزلت طائفة منهم في أسوان وشهال النوبة . وفي سنة ٢٥٦ ه رافقت ربيه جهينة إلى البجة شرقاً ، وكانت البجة تشن الغارات على القرى الفرقية في كل وقت حتى أخربوها ، فقامت ربيعة بمنعهم من ذلك حتى كفوهم ثم تزوجوا منهم ، وفي ذلك الوقت أعيد كشف مناجم الذهب القديمة في صحراء النوبة ، مما أغرى العرب على الإقبال على مصر العلبا للاستيلاء على هذه المناجم . وخرجت قبيلة الكنز من ذلك بنصيب الأسد فكثرت أموالهم واتسعت أحوالهم (١) .

⁽١) انظر قبائل المرب في مصر لأحمه لطني السيد ١/١ء .

- (ب) قبيلنا هلال وسليم اللنانهاجرتا في القرن العاشر . فحن أصبح الفاطميون سادة في شمالي إفريقية ، ونشروا نفوذهم على مصر والشام في سنة ٣٨١ هـ = ٩٩١ م دعا الحليفة الفاطمي العزيز (٣٦٥ ٣٨٦ هـ) قبائل هلال وسليم إلى النزول بمصر فهبطوها وأنزلهم الصعيد (١) .
 - (ج) في أول القرن العاشر الميلادي اضطرت سلالة جعفر الطيار إلى النزوح عن الحجاز تحت ضغط بني الحسن فاجأت إلى مصر (٢).

٢ - فى عام ٢١٦ ه = ٨٣١ م نشبت أكر ثورة فى البلاد انضم إليها عدد كبر من الأقباط وشملت الوجه البحرى كله . فاضطر المأمون إلى أن خضر بنفسه إلى مصر و محمدها بشدة . ويقول المقريزى فى ذلك : فلما كان فى جمادى الأولى سنة ٢١٦ انتقض أسفل الأرض بأسره عرب البلاد وقبطها، وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لمدوء سبرة عمال السلطان فيها ، فكانت بينهم وبين عساكر الفسطاط حروب. وبعد هذه المعركة لم تقم للأقباط قائمة و دخل كثير منهم الإسلام . ويعلق المقريزى على إخماد المأمون الثورة قائلا : ومن حينئذ أذل الله القبط فى جميع أراضى مصر وخذل شوكتهم ، فلم يقدر أحد منهم على الحروج و لا القيام على السلطان ، وغلب المسلمون على القرى .

٣ – من الثابت أنه منذ القرن الثالث الهجرى أخذ عدد المسيحيين في مصر يتناقص ، ولم يعد لهم أغلبية عددية هناك . ويعتبر عصر الحاكم بأمر الله (من ٣٨٦ه = ٩٩٦ م إلى ٤١١ هـ = ١٠٢٠ م) نهاية النفوذ المسيحي في مصر .

ويعلق الدكتور جاك تاجر على عهد الحاكم بقوله : • إن هناك حقيقة

⁽١)-المرجم السابق ١/٥٥ .

⁽۲) المرجع السابق:۱/۲ و ۷۰ .

واقعة لا سبيل إلى انكارها ، وهى أنه قبل أن يترك الحاكم عرشه قضى على نفوذ النصارى فى مصر . ومن ذلك الحين أصبح الأقباط مهملين فى الدولة ، وأصبح تاريخهم عبارة عن جملة أحداث ثانوية ، وفقدوا بعد ذلك شخصيتهم تدريجياً ليندمجوا فى سواد الشعب » .

وشيئاً فشيئاً زاد دخول الأقباط فى دين الإسلام . ولم يأت القرن الثامن الهجرى = الرابع عشر الميلادى حتى كان عدد المسيحيين لا يزيد على عشر مجموع السكان .

- خام ۱۹۸۱ ه = ۱۹۳۸ م صدرت أوامر الحليفة المعتصم العباسى إلى واليه على مصر كيدر بن نصر بتسريح الحيش العربى وشطب أفراده من ديوان الحند . وقيد الأتراك في مكانهم . وقد أدى هذا إلى تقليل النفوذ الرسمى للعرب في مصر ، ولكنه في نفس الوقت قوى من مركزهم الاجماعى وبالتالى من مركز اللغة العربية . فلقد كانت النتيجة الحتمية هي محاولة العرب الحدية البحث عن وظائف مدنية لهم . أو الاشتغال بالأعمال الحرة كالزراعة والتجارة ، والعمل على الاندماج في السكان الأصلين ، والسعى لاكتساب صداقتهم ، وإنشاء علاقات أسرية معهم .
- استمرار إجراءات تعريب الدولة . وصبغها صبغة إسلامية .
 والتمسك بشرط الإسلام لمن يريد شغل أى وظيفة فى الدولة أو البقاء فى منصبه.
 و أشر فى ذلك إلى الأمثلة الآتية :
- (أ) فى سنة ٢٣٥ ه أصدر الحليفة المتوكل نشرة يحذر فيها من توظيف اليهود والنصارى فى الوظائف الرئيسية .
- (ب) اعتنق اليهودى يعقوب بن كلس الإسلام فى ظروف لا تؤيد بحال صدق عواطفه الدينية . كان أصله من بغداد وقدم إلى مصر فى عهد كافور الإخشيدى ، وكان رجلا واسع الذكاء والحيلة . وحين علم

عجال زمنى واسع تم فى فترة ما من فتراته هذا النحول الكبير . ونبدأ أولا فنعرض الآراء المختلفة التى قيلت حول هذا الموضوع ، ثم نثنى برأينا فيه :

1 ـ يذهب القس رنودو Renaudot إلى أنه بعد فتح العرب لمصر بنحو قرن تلاشت اللغة القبطية نهائياً من معظم القطر المصرى . ولم تعد تعرف إلا بين العلماء الذين كانوا يدرسون تلك اللغة دراسة خاصة ١٠٠.

٢ - يرى دى لاسى أولبرى De Lacy O'Leary أنه من الصعب تحديد الوقت الذى حلت فيه اللغة العربية محل القبطية باعتبارها لغة دارجة بين المصريين . ويرى أنه حتى القرن العاشر الميلادى ظلت اللغة القبطية لغة حية خارج الأديرة . ويؤيد رأيه بالحقيقة القائلة إنه خلال ذلك القرن ظهر نتاج من الشعر القبطى الشعبى وتم جمعه . وهو محدد القرن التاسع الميلادى باعتباره قرن التحول الخطير في تاريخ اللغة القبطية ، كما كان خطيراً في تاريخ الأقباط .

سرى آدم منز أن القبط لم يبدأوا بترك لغتهم القبطية إلا نحو أو اخر
 القرن الرابع الهجرى = العاشر المبلادى .

٤ - يرى بول كهل Paul Kahle أنه فى القرن العاشر أو الحادى
 عشر الميلادى أصبحت اللغة العربية راسخة جداً باعتبارها اللغة الرسمية فى مصر.

یری کاتب مادة ، قبط ، فی دائرة المعارف الإسلامیة أنه فی الفرن
 الحادی عشر المیلادی – و ر بما قبل ذلك – لم تعد اللغة القبطیة لغة مكتوبة .

٦ ـ يرى الدكتور جاك تاجر أن اضمحلال القبطية حدث بالتدريج
 وعبر عن ذلك بقوله : و لقد كبتت اللغة العربية اللغة القبطية رويداً رويدا
 مثل النبات الذى حرم من الماء والشمس فى ظل شجرة كبيرة . لقد ظلت اللغة

⁽١) انظر سيدة كاشف : مصر ق نجر الإسلاء ص ٢٥٩ .

القبطية على قبد الحياة حتى القرن العاشر الميلادى بل از دهرت في الأديرة . ولكنها منذ القرن الحادى عشر حرمت من العناية فذبلت بسرعة حتى إذا جاء القرن الثانى عشر كادت تلفظ أنفاسها ، . ولكنه يرى أنها ظلت مز دهرة في صعيد مصر مدة أطول .

٧ ــ يؤكد المسيو ماسبرو (مدير دار الآثار سابقاً) أن سكان الصعيد
 كانوا يتكلمون ويكتبون باللغة القبطية حتى السنين الأولى من القرن السادس
 عشر في أوائل حكم الأنراك .

۸ - يرى برنس J.D. Prince أن اللغة القبطية ماتت كلغة حديث منذ القرن السابع عشر الميلادى . واستند فى ذلك إلى ما ذكره الرحالة الهولندى Van Sleb من أنه قابل رجلا عجوز أنحو عام ١٦٨٠م يتكلم القبطية . ويرى أن الفترة الحرجة فى تاريخ اللغة القبطية فى مصر هى الفترة ما بين القرنين الحامس عشر والسابع عشر ، إذ بينهما أخذت القبطية تتلاشى بالتدريج كلغة خطاب . ويعزز دعواه بما نقله عن المقريزى (فى القرن الحامس عشر الميلادى) من أنه وجد نساء الأقباط وأطفالهم فى الصعيد فى وقته يتكلمون القبطية غالباً . وينهى برنس رأيه قائلا : ولاشك أن اللغة القبطية قد بدأت تأخذ دوراً ثانوياً حتى قبل زمن المقريزى لأنه فى عام ١٣٩٣ م وجدت عطوطات قبطية كتبت عليها تعليقات باللغة العربية ، نما يدل على أنه فى ذلك عطوطات قبطية كتبت عليها تعليقات باللغة العربية ، نما يدل على أنه فى ذلك الوقت كانت اللغة العربية معترفاً بها كلغة سائدة ، وأنها صار لها الاستعمال العام .

۹ -- یری زکی شنودة أن اللغة القبطیة بدأت تضمحل منذ القرن التاسع المیلادی . وما أن جاء القرن الثالث عشر حتی کانت قد دحرتها اللغة العربیة وسادت علیها . ویری أنها ظالت لغة تخاطب فی الصعید حتی القرن السابع عشر المیلادی . و محدد القرن الناسع عشر باعتباره نهایة زمن الکلام بالقبطیة .

- أما نحن فيتلخص رأينا فما يأتى :
- ١ ــ أنه لابد لكى يكون التحديد الزمنى دقيقاً أن نميز بين ثلاثة أنواع
 من اللغة العربية :
 - (أ) اللغة العربية باعتبارها لغة الدواوين أو اللغة الرسمية للدولة .
 - (ب) اللغة العربية باعتبارها لغة الثقافة .
 - (ج) اللغة العربية باعتبارها لغة التخاطب .

٢ - أنه الابدكذلك أن نعترف بنفاوت انتشار اللغة العربية من منطقة إلى منطقة تبعاً لقربها أو بعدها من مركز الحكم . ولسهولة الوصول إليها أو صعوبته . ولمدى فاعلية العوامل المختلفة التي سبقت الإشارة إليها ، ومن بينها التعريب والإسلام .

ومن أجل هذا فنحن نقترح التواريخ الآتية :

أولا – القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) حين أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة . بها تكتب الوثائق وتسجل المكاتبات الرسمية وتدون الدواوين . وفى حالة استعمال لغة غير العربية كان لابد من قرنها بترجمتها العربية . ونشر فى ذلك إلى الحقائق الآتية :

- (أ) أن مجموعة وثائق البردى المصرية، ومنها التي حققها أدولف جروهمان Adolf Grohmann وبدأت دارالكتب المصرية في نشرها منذ عام ١٩٣٤، تقل فيها الوثائق المكتوبة بغير العربية أو ذات اللغتين. ومعظمها مكتوب باللغة العربية فقط. والوثائق تشمل فترة تبدأ من القرن الأول الهجرى وتمتد لعدة قرون.
- (ب) ما سبق أن قلناه عن الاجراءات التي اتخذتها الدولة منذ نهاية القرن الأول الهجرى لتعريب الدواوين .

(ج) فى إحدى المنازعات الى شجرت عام ١٣٢ هـ = ٧٥٠ م بين الملكيين واليعاقبة بشأن ملكية بعض الكنائس ، كتب البطريرك ميخائيل الأول إلى السلطات التماساً باللغة القبطية . ولكنه أرفق به ترجمة عربية عملا عشورة بعض المطارنة .

وليس معنى تعريب الدواوين أن اللغة العربية أصبحت لغة الثقافة أو لغة التخاطب . فكما أن اتخاذ اليونانية لغة الدواوين لم يجعلها لغة عامة قبل الفتح الإسلامي . كذلك اتخاذ العربية في الدواوين لم يجعلها لغة عامة :

ثانياً: القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) حين أصبحت اللغة العربية لغة العلم والثقافة لكل المصريين على السواء ، من أسلم منهم ومن لم يسلم . ويؤيد ذلك الحقائق الآتية :

- (أ) ظهور مؤلفات باللغة العربية لمؤلفين أقباط لم تعرف لهم مؤلفات بغير العربية وأذكر من بينهم :
- ۱ سعید بن بطریق الذی کنب کنبا منها « کتاب التاریخ الحجموع علی التحقیق و التصدیق » و « کتاب البر هان » .
- ٢ سويرس بن المقفع المسيحى اليعقوبى الذى شغل منصب أسقف فى كنيسة أشمونين نحو عام ٩٨٥ م، وكان رجلا خصباً فى كتاباته ومع ذلك فضل الكتابة باللغة العربية . وأهم ماكتبه مؤلفه المشهور « سير الآباء البطاركة ».
- (ب) ماذكره سويرس بن المقفع فى مقدمة كتابه السابق الإشارة إليه الذى كتبه فى القرن الرابع الهجرى باللغة العربية ، من أنه ترجم مادة كتابه من اللغتين اليونانية والقبطية بعد أن وجد أقباط مصر فى عصره لا يعرفون غير اللغة العربية . ونص عبارته : و فاستعنت بمن أعلم استحقاقهم من الإخوة المسيحيين وسألتهم مساعدتى على نقل ماوجدناه منها (يعنى سبر الآباء البطاركة) بالقلم القبطى واليوناني إلى القلم منها (يعنى سبر الآباء البطاركة) بالقلم القبطى واليوناني إلى القلم

- العربى الذى هو اليوم معروف عند أهل هذا الزمان بإقليم ديار مصر لعدم اللسان القبطى واليونانى من أكثرهم » .
- (ج) من الابت أن الأقباط فيما بعد كتبوا ناريخهم بل ومقالاتهم الدينية باللغة العربية . وكان من أشهر كتاب الطائفة أبو شاكر بطرس ابن الراهب ، ومكين ، وأبو الفضائل ... ثمن كانوا يجهلون اللغة القبطية .
- (د) أن أوراق البردى الطبية القبطية التي نشرها Chassiant بكثرة مصطلحات عربية كتبت بحروف قبطية وأحياناً محروف عربية . لقد كتبها مؤلفون أقباط في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين استعملوا كلتا اللغتين القبطية والعربية ، ولكن بشكل بجعلنا نقول إنهم كانوا على علم باللغة العربية أكثر من علمهم باللغة القبطية . وقد كانوا كثيراً ما يفضلون استعمال المصطلح العربي على مقابله اليوناني أو القبطي .
- (ه) كتب ميخائيل السورى عن جبر اثيل الثانى (من بطاركة اليعاقبة ،
 ا١٣١ ١١٤٦ م) يقول : إنه كان بارعاً فى اللغة العربية وخطها .
 و لما رأى أن الشعب المصرى يتكلم اللغة العربية ويكتب بها نظراً لطول عهد السيادة العربية اهتم بترجمة التوراة و الإنجيل إلى العربية ،
 وكذلك بقية كتب الطقوس الدينية الأخرى ليستطيع الشعب فهمها .
- ثالثاً : القرن الحامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حيث أصبحت اللغة العربية لغة التخاطب العامة لكل المصريين على السواء ، بدليل ما يأتى :
- (أ) أنه فى ذلك القرن كان عدد المسلمين قد زاد بشكل ملحوظ، فى حين تناقص عدد الأقباط تناقصاً حاداً بإسلام الكثيرين، وهجرة عدد آخر إلى مناطق النفوذ البيزنطى.

- (ب) أن رجال الدين المسيحى كانوا يعظون منذ القرن الرابع الهجرى باللغة
 العربية لكى يفهمهم سامعوهم .
- (ج) أن أبا صالح الأرمني ذكر أنه في القرن السادس الهجري كان المثقفون القبط فقط من بن رجال الكنيسة هم الذين يعرفون القبطية .

ومع ذلك فنحن نرى أن غلبة العامية العربية على القبطية ربما تأخر عن ذلك قليلا أو كثيراً في بعض الأماكن النائية من قرى الصعيد ولكن ذلك بأى حال لا يمكن أن يتجاوز قرناً أو قرنين آخرين ، ولا يمكن أن يكون له صفة العمومية . ولهذا فنحن نشك في أن ما قاله المقريزى (القرن الحامس عشر) : و ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون إلا بالقبطية الصعيدية ولهم أيضاً معرفة تامة باللغة الرومية ، - ينطبق على عصره . ونرى أنه نقله عن مرجع قديم لا يتجاوز الفترة التي ذكرناها بدليل ما جاء في آخر النص من أن نساء الصعيد لها معرفة تامة باللغة اليونانية (١) ، إذ لاشك أن ذلك لم يكن في عصره بأى حال من الأحوال .

أما داخل الأديرة وبين الرهبان ، فنحن نتوقع أن يوجد بعض من كانوا يتكلمون القبطية لمدة أطول من ذلك . ويذكر المقريزى فى خططه عن و دير موشه ، أن والأغلب على نصارى هذه الأديرة معرفة القبطى الصعيدى ، ولكن مرة أخرى لا يمكن أن يكون لذلك صفة العمومية وإلا ما احتاج المقريزى إلى النص عليه بالنسبة لهذا المكان ، وبدليل ما ذكره بعض المؤرخين من أنه و لم يمض على الفتح قرن من الزمن حتى اضطر بعض الرهبان أن يلجأوا إلى المترجمين لقراءة النصوص القبطية » .

وأما ما ذكره بعضهم عن وجود أناس يتكلمون اللغة القبطية حتى عصر

⁽١) كان العرب يسمون اليونان بالروم واللغة اليونانية باللغة الرومية (ج. صبحى : قواعد اللغة المصرية القبطية س ٦).

مناخر فما هي إلا حالات فردية نادرة لا يبنى عليها حكم ، وهي من ناحية أخرى لبحث كافية للقول خياة لغة ما . ولا يكنى لاعتبار اللغة حية أن يتكلمها فرد أو فيردا عن طويق التعلم . أو أن تكون لغة ثانية بصطنعها بعض الناس عن عمدأو تعصيه . ومما يدل على ندرة من بنى يتكلم القبطية بعد تلك الفترة أن الرحالة فيل مصر على الرغم من تنقيبهم الشديد كان يصعب عليهم مقابلة أى شخص يعرف القبطية وإذا حدث ووجد أحدهم من يتكلمها كان يزعم أنه آخر شخص يتحدث ما .

ولكن لا تعنى هزائم اللغة القبطية المتنالية أمام هجمات العربية أنها لم تثبت وجودها في أى فترة من فترات الصراع ، فقد فرضت نفسها لفترة ماكلغة حديث حتى على العرب أنفسهم ، وتعلمها الكثيرون منهم ، وممن عرفوا بإجادتهم اللغة القبطية القاضى خبر بن نعيم الذي كان يتكلم للخصوم الأقباط وبسدم لشهادة شهودهم باللغة القبطية .

أن لا تعنى هز عة اللغة القبطية زوالها النهائى من الوجود ، فلابد أنها ظلت المرس ويتخصص فيها من يريد على الرغم من اعتبارها لغة ميتة ، كاللغة الغزينة مثلا التي تعد لغة مينة ومع ذلك لاتزال تدرس حتى اليوم . ولذا فمن الطبيعي أن يوجد أناس حتى الآن يعرفون اللغة القبطية ، وربما يقدرون على الكلام بها ، ومن الطبيعي كذلك أن بهم رجال الكنيسة القبطية بوجه خاص بهذه اللغة لكتابة كثير من تراثهم الديني بها وإن كان Prince قد ذكر في كتابه منده اللغة لكتابة كثير من تراثهم الديني بها وإن كان ومعظم الوعاظ الأقباط غير متخصصين في اللغة القبطية ، ولذا فهم يكتفون بتر ديد الصلوات كالبيغاوات متخصصين في اللغة القبطية ، ولذا فهم يكتفون بتر ديد الصلوات كالبيغاوات باللسان القبطي مع ترجمة لها باللغة العربية و أصبحت جزءاً لا يتجزأ باللسان منها ، كما سنتحدث فها بعد .

أما إلى أى مدى بلغ هذا التأثير ، فهو ما سنعالجه – مع قضايا أخرى – فى الباب الثانى إن شاء الله :

الفِصِّل الخامِسُ النهضة الثقافية في صرِّر وانزها على للغة العربية

كانت مصر منذ اللحظة الأولى للفتح الإسلامي مركزاً كبيراً للثقافة العربية، وجامعة إسلامية تغص بالعلماء والدارسين في مختلف التخصصات. وكانت في قرونها الإسلامية الأولى بمثابة منارة علمية تشع نورها على كل البلاد المجاورة، ويؤمها الطلاب من المشرق والمغرب للتزود من علمها الغزير والنهل من موردها العذب.

ويضيق بنا المقام لو أردنا أن نتحدث فى هذا الفصل عن جهود مصر المتعددة فى مجالات العلم المختلفة ، ولذا سنقصر حديثنا على الفروع التى تخص الثقافة العربية والإسلامية والتى كان لها أثر قريب أو بعيد فى النهوض بمستوى اللغة العربية فى مصر والارتقاء بأساليب الكتابة والإنشاء ، كماكان لها أثر كبير فى مساعدة الأجانب عن اللغة على تعلمها ، ومد يد العون لمن يريد إجادة فن الكتابة لينفتح أمامه سبيل العمل فى الدواوين والمصالح الحكومية . وسوف نقصر حديثنا على المجهودات التى تمتحتى نهاية القرن الرابع الهجرى . وهو القرن الذى اعتبرناه نقطة النحول فى لغة الثقافة فى مصر ، وقرن انتصار العربية على القبطية وصرورتها لغة التأليف للمسلمين والأقباط على السواء .

أما فى مجال الدراسات الإسلامية فقد كانت الريادة لأولئك العرب الذين صاحبوا جيش الفتح من الصحابة أو وفدوا بعده بقليل ، واتخذوا مصر موطناً لهم ، وعاشوا فيها فترة من الزمن ، طالت أو قصرت . وقد كان من أشهر علماء القراءات الذين قصدوا مصر في وقت مبكر جدأ الصحابة عبيد بن عمر الذي شغل منصب أول قارئ رسمى في مصر ، وعقبة بن الحارث الفهرى. و الاهم جيل من التابعين ، منهم عبد الرحمن ابن هر مز تلميذ أبي هريرة ، و حبد الله بن العباس الذي اختار الإسكندرية موطناً له ، و توفي عام ١١٧ ه = ٧٣٥ م .

أما رجال الحديث فكان في مقدمتهم الصحابي الشهير أبو هريرة راوى أكبر عدد من الأحاديث النبوية ، وقد جاء إلى مصر في عهد مسلمة بن مخلد (من ٤٧ هـ = ٦٦٧ م) ، وكذلك الصحابة عبد الله ابن عمر بن الحطاب ، الذي جاء مع جيش الفتح إلى مصر ، وعبد الله ابن عمر بن الحطاب ، الذي جاء مع جيش الفتح إلى مصر ، وأبو ذر ابن العباس ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو ذر الغفارى ، وسعد بن أبي وقاص . وتلاهم جيل من التابعين خصص السيوطي فصلا لتعداد أسمائهم في كتابه « حسن المحاضرة » .

ومن أشهر من اشتغلوا بالقانون الإسلامي وإصدار الفتاوي الدينية سليم ابن عتر التجيبي الذي أصبح كبير القضاة في مصر عام ٤٠ هـ = ٦٦٠ م وتوفي عام ٥٥ هـ = ٦٩٤ م . ومنهم عبد الرحمن بن حجيرة الذي عبن كبير القضاة في عهد عبد العزيز بن مروان (من ٦٥ هـ = ٦٨٤ م إلى ٥٥ هـ القضاة في عهد عبد العزيز بن مروان (من ٦٥ هـ = ٦٨٤ م إلى ٥٥ هـ وأخيراً نافع مفي المدينة ، الذي أرساه عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليتولى منصب الإفناء فيها .

ومع مطلع القرن الثانى الهجرى بدأ أول جيل من المصريين يقتحم الميدان ويسهم بدوره فى إقامة صرح الدراسات الإسلامية :

وأول قارئ مصری ذاع صینه داخل البلاد وخارجها کان عثمان ابن سعید الملقب به ورش ، الذی ولد عام ۱۱۰ هـ = ۷۲۸ م ، و تتلمذ على نافع بن عبد الرحمن أحد القراء السبعة . وتوفى ورش عام ١٩٧ ه = ٨١٧ م وعاصره جمع آخر من القراء المحلين لم يشتهروا شهرته مثل سقلاب ابن شيبة ، وعبد الله بن وهب ، ومعلى بن دحية ، وأشهب بن عبد العزيز . ثم ظهر جيل ثالث ، وتضاعف عدد القراء بشكل ملحوظ . ولم يأت النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى حتى كانت كتب كثيرة قد ظهرت فى مصر تتناول فن القراءات والتفسير القرآنى . ومن أشهر من ألف فى هذين الموضوعين العالم المصرى الشهير أبو جعفر النحاس (توفى سنة ٣٣٨ ه = ٩٥٠ م) الذى ألف و إعراب القرآن » و و معانى القرآن » و و الناسخ والمنسوخ ه الوقف والابتداء » . ومن حسن الحظ أنها وصلتنا جميعاً .

أما مجال التأليف في الحديث النبوى فكان أسبق من مجال التأليف في القراءات والتفسير ، إذ أن أقدم مجموع وصلنا هو ذلك الذي كتبه عبد الله بن وهب (ولد عام ١٢٥ه = ٧٤٢م) بعنوان والجامع في الحديث ، وقد عثر على جزء كبير منه مؤخراً في وإدفو ، في صعيد مصر . ومما هو جدير بالذكر كذلك أن أصحاب الكتب الستة من رجال الحديث قد زاروا مصر عثاً عن مادة جديدة ، ومنهم من زارها أكثر من مرة ، مثل و النسائي ، الذي غادرها لآخر مرة عام ٣٠٧ه = ٩١٤م .

وأول فقيه مصرى عرف كمجتهد كان يزيد بن أبى حبيب الذى شغل منصب مفى مصر، ثم تلاه عدد من الفقهاء المصرين الذين نافسوا أصحاب المدارس الفقهية الأربع المشهورة مثل، الليث بن سعد (ولد بمصر عام ٩٤ هـ المدارس)، وتلا ذلك جيل كبير من الفقهاء الذين ناصروا مدرسة فقهية معينة، كدرسة مالك أو الشافعي أو أبى حنيفة.

وقدكانت شهرة مصر فى مجال الدراسات الإسلامية معروفة فى كل أنحاء العالم الإسلامى ، وكثير أما استشير علماؤها فى مشكلاتأثيرتخارج حدودها . ومن ذلك ما رواه الكندى من أن الحليفة عبد الملك بن مروان كتب إلى والى مصر يسأله أن يرسل إليه برأى فقهاء مصر في عدة المطلقة ثلاثاً. وقد جذبت هذه الشهرة علماء كثيرين وفدوا إلى مصر للاستفادة من علمها ، وهذا بدوره أفاد علماء مصر وربطهم بجوانب مختلفة من التفكير . ومن بن من قصدوا مصر من كبار العلماء الإمام الشافعي ، والإمام الطبرى المؤرخ والمفسر المشهور (وصل مصر عام ٢٥٣ ه = ٨٦٧ م).

وأما فى مجال الأدب فلم تنبغ مصر طوال حكم الأمويين ، وكل ماوصلنا عن هذه الفترة أبيات شعرية قليلة منسوبة إلى شعراء زائرين .

ولكن مع مطلع العصر العباسى بدأ الشعر المصرى يحقق تقدما ملحوظاً ، وظهر إلى جانب الشعراء الزائرين شعراء مصريون ، مثل سعيد بن عفير (ولد فى مصرعام ١٤٦ ه = ٧٦٣ م) ، ومعلى الطائى . ومع قيام الدولة الطولونية حقق الأدب تقدماً آخر أخذ أشكالا ثلاثة :

۱ – الشعر : انتعش الشعر أيام حكم الطواونيين نتيجة لتشجيع الحكام وإغداقهم الحوائز والهبات على الشعراء ، مما جذب الشعراء من الحارج من ناحية ، ونهض بالشعر المصرى من ناحية أخرى . وعلى رأس الشعراء المصريين نجد الحسين بن عبد السلام المسمى بالحمل الآكبر (ولد سنة ١٧٠ وتوفى سنة ٢٥٨) ، والحسين المسمى بالحمل الأصغر والقاسم بن يحيى بن معاوية ومنصور بن إسهاعيل بن عمر . ويقال إن أسهاء الشعراء الذين كانوا يتر ددون على بلاط أحمد بن طولون كانت تملأ اثنتي عشرة كراسة .

٢ — النثر : فى هذه الفترة وجهت عناية أكبر , بديوان الإنشاء , وأصبح مطمح كل كاتب أن يشغل منصبا فيه . وقد أدى هذا بالكتاب أن يحاولوا إجادة اللغة العربية والتلاعب بأساليبها ، كما أدى إلى ظهور مؤلفات تأخذ بيد الكتاب الناشئين ، وتبذل لهم النصيحة ، وترشدهم إلى كيفية

الارتقاء بأساليبهم . وأشهر كتاب ظهر في تلك الفرة كتاب و صناعة الكتاب الأبي جعفر النحاس . والكتاب لم يصلنا ، ولكن من اقتباسات وصبح الأعشى المنه عكننا أن نقول إنه يشتمل على نصائح عامة تفيد من يريد أن محرف مهنة الكتابة ، ويحوى قائمة بالألقاب الرسمية التي يجب أن مخاطب بهاكل شخص عسب منصبه ، ويبين مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار من الأقلام ، ويعطى نماذج مختلفة لبدايات الرسائل ونهاياتها ، وقواعد مختصرة للهجاء ، ويعرف بوظائف الدولة واختصاصات كل منها ، ويشرح المصطلحات ويعرف بوظائف الدولة واختصاصات كل منها ، ويشرح المصطلحات المستعملة في الرسائل الديوانية . وهو إلى جانب ذلك يقدم نماذج للرسائل الديوانية على مختلف العصور . وهذا قالب للرسالة الديوانية كما اقترحها أبو جعفر النحاس ننقله عن و صبح الأعشى و :

وقد اختلف في تقديم الاسم والكنية واللقب . والذي رتبه أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب تقديم الاسم على الكنية وتقديم الكنية على اللقب ، مثل أن يقال (من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين) ه. ثم قال : وهذه المكاتبة هي التي اصطلح عليها في الأمور السلطانية التي تنشأ مها الكتب من الدواوين : . وترتيب المكاتبة على ما ذكره في صناعة الكتاب أن يكتب : (من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين ، عمد الله إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله) ثم يفصل ببياض يسير ويكتب : (أما بعد فإن كذا وكذا) ثم يأتي على المعنى . فإذا فرغ من ذلك وأراد أن يأمر بأمر فيضل ببياض يسير ثم يكتب : (وقد أمر أمير المؤمنين بكذا ورأى أن يكتب يفصل ببياض ويكتب : فيضل ببياض ويكتب : (فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين واعمل بحسبه ثم يفصل ببياض ويكتب فلان الن فلان) باسم الوزير واسم أبيه (يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا) .

وقد يكتب فى أو اخر المكاتبة بعد استيفاء المقصد (هذه مناجاة أمير المؤمنين لك) . أو (هذه مفاوضة أمير المؤمنين لك) .

وثما يدل على أهمية كناب النحاس واحتلاله مكاناً فريداً بين أقرانه أننا نجد القلقشندى فى كتابه و صبح الأعشى و يعتمد ــ فى الفصول المتناظرة ــ على هذا الكتاب إلى درجة كبيرة . وتبلغ اقتباساته منه نحو المائة . وهناك صفحات كاملة من و صبح الأعشى و مأخوذة بنصها من كتاب النحاس .

ومما هو جدير بالذكر كذلك أنه ظهر فى ذلك الوقت فى مصر لأول مرة مجموعة من القصص القصيرة كتبها مصرى صميم هو ، ابن الداية ، وعرفت هذه المجموعة باسم ، المكافأة ،، وقد ولد هذا المؤلف فى مصر عام ٣٤٠ هـ = ٥٩١ م واسمه أحمد بن يوسف .

الدراسة الأدبية: وقد ظهر فى هذه الفترة مجموعة من الدراسات الأدبية والنقدية ومن بينها كتاب ، النقائض ، لأبى العباس أحمد بن ولاد (توفى عام ٣٣٢ هـ = ٩٤٣ م) و « أخبار الشعراء » و « شرح المعلقات ، و « معانى الشعر ، و « شرح الحماسة ، ، وجميعها لأبى جعفر النحاس .

فإذا انتقلنا إلى ميدان الدراسات اللغوية رأينا نشاطاً لا يقل عن نظيره في سائر أنحاء العالم الإسلامي ، وإن بدأ متأخراً بعض الشيء. وأول اسم بطالعنا لشخصية لغوية هامة تفاد إلى مصر هو اسم عبد الرحمن بن هرمز تلميذ أبي الأسود الدؤلي واضع علم النحو – في بعض الروايات . وقد أقام ابن هرمز بالإسكندرية إلى أن توفى عام ١١٧ ه .

ومع مطلع القرن الثالث الهجرى غصت مصر باللغويين والنحاة، ونشطت فيها الحركة اللغوية إلى حد كبير . وعلى رأس اللغويين الأجانب الذين وفدوا إليها نجد أسماء مثل :

١ - محمد بن يحيى اليزيدي الذي جاء مع المعتصم إلى مصر (عام

۲۱٤ هـ = ۸۲۹ م) ومنت بها تاركاً عدة كتب منها: و النوادر ، و و المقصور
 والممدود ، و ، مختصر النحو ، و و النقط والشكل ، .

۲ – أبوعلى أحمد بن جعفر الدنيورى الذى توفى فى مصرعام ٢٨٩ ه =
 ٢٠٩ م . وقد كتب خلال إقامته بمصر كتاباً فى النحو سماه ، المهذب » .

عام ۲۸۷ ه = ۹۰۰ م و غادرها لآخر مرة عام ۳۰۳ ه = ۹۱۸ م ومات
 بغداد عام ۳۱۵ ه = ۹۲۷ م . ومن مؤلفاته کتاب « التثنیة و الحمع » ، وکتاب
 « شرح سیبویه » فی خمسة مجلدات .

ومنذ أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع أخذت الدراسات اللغوية المصربة تشق طريقها بنفسها ، وتقف على قدميها وحدها ، وتنافس نظير اتها في سائر أنحاء العالم الإسلامي . وظهر لأول مرة مؤلفون مصريون متفوقون ، انضمت جهودهم إلى جهود الوافدين من البلاد الأخرى فخلقت حركة لغوية نشيطة أثارت إليها انتباه العالم الإسلامي كله . ومن أشهر الوافدين في تلك الفترة أبو بكر الدنيوري وأبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة والأخوان الحسن والحسن بن الوليد . أما اللغويون المصريون فكانوا كثيرين ومتفاوتن في الشهرة وفي الإنتاج العلمي ، ولكن كان على رأسهم ثلاثة هم : كراع النمل واسمه على بن الحسن الهنائي (توفي ١٣٥ ه = ٩٢٣ م) . وابنولاد واسمه أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد (توفي ٣٣١ ه = ٩٤٣ م) . والنحاس واسمه أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسهاعيل (توفي ٣٣٨ ه = ٩٤٣ م) .

أما كراع فقد ترك آثاراً لغوية كثيرة أشهرها « المنجد » الذي يعالج مشكلات المشترك اللفظى ويعرض كثيراً من ألفاظه، و « المنتخب » الذي يحوى نتفاً مختلفة لمباحث علم اللغة ومنهما نسخ مخطوطة متنوعة في دار الكتب المصرية وغير ها . كما بث كراع فى ثنايا كتبه آراء ناضجة فى كثير من مشكلات علم اللغة وأصوله .

وأما ابن ولاد فقد ترك آثاراً منها: و المقصور والممدود الذي يعالج مشكلات الكلمات المقصورة أو الممدودة ، ويذكر طريقة هجائها، ويحصر مفرداتها . وقد طبع الكتاب طبعتين حتى الآن . ومن آثاره و الانتصار لسببويه على المبرد ، الذي اتخذ جانب الدفاع عن سيبويه في مسائل الحلاف بينه وبين المبرد ، وتوجد منه نسخ مخطوطة في دار الكتب المصرية وغيرها . وكان لابن ولاد آراء تقدمية في كيفية تقعيد القواعد وفي أصول النحو تعد حتى الآن من أنضج ما قبل في الموضوع .

وأما أبو جعفر النحاس فكان نسيج وحده . ولم يترك باباً من أبواب الدراسات الإسلامية إلا طرقه وألف فيه . كتب في القراءات ، وفي النفسير والحديث ، وفي الناسخ والمنسوخ ، وفي النحو وفقه اللغة ، وفي الأدب و دوائر المعارف ، وكان في كل ما يكتب و فقاً . ونما تركه في مجال الدراسات اللغوية : المعارف ، وكان في كل ما يكتب و فقاً . ونما تركه في مجال الدراسات اللغوية : و والكافي المعرب القرآن ، و والمقنع في الحلاف بين البصريين والكوفيين ، و والكافي في النحو ، و مشرح أبيات سيبويه ، و و كتاب الاشتقاق ، و و خلق الإنسان ، و و النفاحة في النحو ، والكتاب الأخير فو أهمية كبيرة - في نظرنا - بوجه خاص ، لأنه وضع تلبية لحاجة الناشئة ، وكتب في أسلوب ميسر وبطريقة أقل ما توصف به أنها سهلة مبسطة . والكتاب يلخص النحو كله في بضع ورقات ، ويقدم للدارس المبتدئ عصارة والكتاب يلخص النحو كله في بضع ورقات ، ويقدم للدارس المبتدئ عصارة البيان ، وكل الحلافات اللفظية والمناقشات الفلسفية التي تمتلي مها كتب السابقين . وأغلب ظننا أنه كتب مهدف تقريب نحو اللغة العربية للأجانب السابقين . وأغلب ظننا أنه كتب مهدف تقريب نحو اللغة العربية للأجانب ويعد الكتاب ثورة على الطريقة التقليدية في دراسة النحو العربي ، ولعله أول ويعد الكتاب ثورة على الطريقة التقليدية في دراسة النحو العربي ، ولعله أول ويعد الكتاب ثورة على الطريقة التقليدية في دراسة النحو العرب ، ولعله أول

كتاب يصلنا و هو خوى تطبيقاً فعلياً للمنهج الوصفى فى در اسة اللغة . ومن أمثلة ذلك قوله :

۱ — الفاعل مرفوع أبداً تقدم أو تأخر . وهذا يعنى أن « محمداً » فى الحملة « قام محمد » أو « محمد قام » تعرب فاعلا . وهذا بخالف التحليل التقليدي للجملة الثانية الذي يعتبر الفاعل ضميراً مستراً تقديره « هو » ويعرب « محمد « مبتدأ والحملة من الفعل والفاعل بعده فى محل رفع خبر ذلك المبتدأ .

٢ — عد أبو جعفر النحاس من بين حروف الحر الكلمات ، أعلى ، و ، أسفل ، و ، خلف ، و ، قدام ، و ، وراء ، و ، أمام ، و ، فوق ، وأشباهها . وهذا خروج على النحو التقليدى الذى يعتبرها كلها ظروفاً . وقد كان النحاس موفقاً فى فكرته هذه وطرحه جانباً الرأى التقليدى ووصوله إلى هذا الرأى الحديد الذى ينظر إلى الأثر الإعرابي فحسب . وأى فرق بين قولنا : ، الكوب على المائدة ، و ، الكوب فوق المائدة ، ؟ لا فرق بينهما عندنا وعند النحاس وإن كان القدماء قد اعتبروا ، على ، حرف جر ، وما بعدها مجروراً بها ، واعتبروا ، فوق ، ظرفاً وما بعدها مضافاً إليه .

ولم يقف دور مصر فى تلك الفترة عند التأليف والتنقيب . وإنما تجاوز ذلك إلى تمثيل الثقافة الإسلامية وهضمها ثم إخراجها فى صورة مبتكرة . وقد كانت مصر بمثابة القنطرة التى عبرت عليها الثقافة العربية من الشرق إلى الغرب ، وكانت ماتى للدراسين من شى البقاع ، وجامعة إسلامية يقصدها الطلاب من غتلف أنحاء العالم الإسلامي . ولم يكتب للمؤلفات المصرية الرواج داخل مصر وحدها . وإنما فى المغرب والأندلس كذلك . وحتى نهاية القرد الرابع المجرى كانت بلاد المغرب والأندلس تعتمد اعتماداً كلياً فى دراساتها العربية الإسلامية على مصر . ولم تنضج تلك الدراسات هناك إلا على يد المبعوثين

الذين زاروا مصر ودرسوا فيها ثم عادوا إلى أوطانهم يحملون الزاد ويدرسون المؤلفات المختلفة التي تلقوها في مصر، ومن بينها المؤلفات المصرية. وقد وجدنا أن كل مؤلفات ابن ولاد وثلاثة عشر مؤلفاً من بين مؤلفات أبي جعفر النحاس قد دخلت الأندلس في وقت مبكر جداً قد يكون في حياة المؤلفين أو بعد وفاتهما بقليل. كما وجدنا مؤلفات كراع النمل منتشرة جداً في بلاد المغرب بخاصة. ومن الأهمية عكان أن نشر إلى الحقائق التالية:

١ – من بين تلاميذ النحاس – الذين استطعت التوصل إليهم – وعددهم أربعة عشر تلميذاً وجدت ثلاثة مصريين فقط . أما الباقون فمن بلاد مختلفة .

٢ من بين الأسماء الحمسمائة الأولى فى كتاب ، ابن الفرضى ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس وجدت خمسة وخمسين اسما على الأقل لأناس درسوا فى مصر .

٣ – هناك اقتباسات كثيرة من كتب المصريين فى الكتب المتأخرة، وأخص بالذكر ما يأتى :

- (أ) فى الجزأين الأول والثانى من كتاب والجامع لأحكام القرآن، للقرطى يوجد نحو ستين اقتباساً من أنى جعفر النحاس.
- (ب) في و صبح الأعشى و للقلقشندى نجد أكثر من مائة اقتباس من و ب الكتاب و للنحاس .
- (ج) فى « لسان العرب » نجد أكثر من سبعمائة اقتباس من مؤلفات
 كراع النمل .

وقدكانت مراكز الثقافة فى مصر متعددة ومتنوعة ، وكان كل مركز منها يقوم بدوره الخاص فى نشر الثقافة الإسلامية ، وكثير منها كان مشمولا برعاية الحكام وذوى الثراء . وأشهر تلك المراكز :

١ – المسجد: وقد كان أهم مركز ثقافى فى تلك الفترة. وكانت أشهر المساجد فى مصر خلال تلك الفترة هى : جامع عمرو بن انعاص، وجامع أحمد ابن طولون، ثم الجامع الأزهر. فى جامع عمرو كانت تلقى دروس دينية منذ عام ٣٨ ه = ٢٥٨ م. وفيه كان الإمام الشافعى يلتى دروسه ومحاضراته، وكذلك الإمام الطبرى. وفى عهد الإخشديين (من سنة ٣٢٣ ه = ٣٣٤ م الله ١٩٥٨ هـ كان فيه ثلاث وثلاثون حلقة خاصة باللروس الفقهية. وأما جامع ابن طولون فقد انتقل إليه الطبرى بعد بنائه، وكان أحمد بن طولون بحرى عليه الأوقاف و خصص لعلمائه المرتبات. وبعد تشييد الحامع الأزهر انتقل النشاط الديني إليه، وأصبح مركزاً للدعاية الفاطمية. وليس أدل على اتساع النشاط العلمي فى ذلك الوقت من أن المقدسي الذي زار مصر فى القرن الرابع الهجرى سجل ملاحظة خطرة فحواها أنه وجد مساجد مصر مز دحمة بالطلاب بشكل لم يره فى أى بلد إسلامي آخر. وذكر أنه عد حلقات أحد هذه المساجد فوجدها تبلغ مائة و عشر حلقات.

٧ – (صالونات) الحكام: كذلك قامت (صالونات) الحكام و ذوى الثراء بدور كبر في نشر الثقافة الإسلامية و تشجيع البحث العلمى، فكانت تعقد فيها اجماعات دورية وحلقات علم مستمرة. وكان من العادة أن محضر الحكام والوجهاء هذه الاجماعات ويشاركوا في المناقشة ويثيبوا المتفوق فيها. وقد بدأت شهرة هذه المحالس منذ قيام الدولة الطولونية و تضاعفت شهرتها في عهد الفاطمين. ونشير بوجه خاص إلى الاجماعات الدورية التي كانت تعقد في (صالون) الوزير ه ابن كلس ه والتي كان محضرها القضاة والفقهاء والشعراء والنحاة والمحدثون وكل ذوى الحيثية في المحتمع. وليس هذا فحسب، بل شاركت مصر في الاجماعات العلمية والمؤتمرات التي كانت تعقد في الحارج. ومن ذلك ما حدث عام ٣٢٦ ه = ٩٣٧ م حين انعقد مؤتمر علمي في بغداد بإشراف الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات ، وأرسلت مصر ممثلها الرسمي المخضوره.

" - دور الكتب: وقد انتشرت دور الكتب الحاصة خلال تلك الفترة وتنافس الأغنياء والعلماء فى اقتناء نوادر المخطوطات. وبناء على ما ذكر ابن خلكان كانت مكتبة العزيز الفاطمى حافلة لدرجة أنه احتاج إلى تعين و أمن اليديرها وينظمها. وغيرنا المقريزى أن هذه المكتبة كانت تحوى ثلاثين نسخة من كتاب العين الول معجم عربى، بينها نسخة محط المؤلف نفسه الماكان يوجد بها عشرون نسخة من تاريخ الطبرى، ومائة نسخة من معجم الحمهرة لابن دريد.

٤ – محلات الوراقة وبيع الكتب: ففضلا عن دورها فى نسخ المحطوطات وبيعها كانت مركزاً يلتى فيه الدارسون ويتجاذبون الحديث ويديرون المناقشة . وكانت هذه المحلات تتركز فى سوق قرب جامع عمرو بن العاص وتغص بالباحثين ، وبخاصة فى زمنى الطولونيين والإخشيديين .

البابُ الثاني

الخصائه للغوبة لعسربته مصر



تموسيد

سنحاول فى هذا الباب أن نقدم وصفاً للغة العربية النى كانت بمصر فى الفترة موضوع الدراسة ، وأن نحدد العوامل النى تحكمت فى تشكيلها ، وتدخلت لتصبغها صبغة معينة تميزها عن سائر العربيات .

وقد وجدنا أنهناك عاملين يعدان من أهم العوامل التي تستحق اللراسة في هذا الخصوص، بقصد الكشفعن مدى أثرهما في عربية مصر، وهما:

١ ــ اللغة القبطية (وإلى حد ما اليونانية) .

٢ - الليجات الع مة .

كما وجدنا أن هناك عوامل ثانوية أثرت فى عربية مصر ، منها عامل الميل نحو السهولة وتوفير الحهد ، وعامل اللامبالاة ، وعامل الاقتراض من لغات أخرى غير القبطية واليونانية ، مثل اللاتينية والفارسية والتركية . وسنتناول هذه العوامل فى ثلاثة فصول على التوالى .

وقد رأينا قبل أن نعالج هذه العوامل بالترتيب المذكور أن نبدأ بدراسة موجزة فى فصلين ، نتناول فى أولهما الصعوبات التى تعترض مثل هذه الدراسة اللغوية ، ونصنف فى ثانيهما المادة التى اعتمدنا عليها فى تحليلنا اللغوى .

وهكذا استقر إخراج هذا الباب في خمسة فصول .

الفصّل الأول صعوبات على لطريق

الحقيقة التي يواجهها أى دارس للهجات العربية القدممة خارج الحزيرة العربية - ولحد ما داخلها - هي قلة المادة اللغوية من ناحية ، وانعدام الدراسة اللغوية المنهجية لها من ناحية أخرى . وهناك حقيقة أخرى تشمل اللهجات العربية القدعة جميعها ، وهي اختلاط مادتها بعضها ببعض ، وصعوبة عزل مادة أي واحدة منها عن غبرها ، وهي صعوبة قد تصل أحياناً إلى حد الاستحالة والتعذر . وحتى اللغويون المحليون، الذين كان ينتظر منهم أن يسجلوا ماكان يدور في بيئتهم من تعبيرات خاصة ، وأن يقوموا بدراسة موضوعية للمستويات اللغوية المستعملة في أوطانهم ، سواءكانت على المستوى الأدبى ، أو مستوى الحديث العادى ، أو بين بين ـ حتى هؤلاء لم يلقوا بالا لهذا الحانب ، ولم محاولوا أن يسهموا عجهو داتهم فيه . كذلك لم يعن أحد منهم بناحية التطور في دلالة الألفاظ ، أو نطقها ، فلم يبن أي من لغوبي القرن الحامس مثلا المعنى الذي يفهمه معاصروه من لفظ جمعه زميل له في القرن الثالث مثلا إلا في النادر . كذلك لم يعن أحد منهم بتطور نطق الألفاظ في عصره على الرغم مما نجده في كتاب سيبويه وفي البيان والتبيين الجاحظ من إشارات مفيدة في هذا الموضوع ، ومن تسجيل لنماذج من النطور اتالتي تمس الأصوات وطريقة نطقها (١). والسر في عدم العناية هذا أنهم جميعاً كانوا ينظرون إلى هذا

⁽١) انظر الكتاب (ط بولاق) ٢ / ٤٠٤ وما بعدها ، والبيان والتبيين =

التطور على أنه نوع من اللحن أو المولد، أو شيء من سقط المتاع الذى لا يصح تسجيله ، ولا يجوز إعارته أى انتباه . ولذلك نجدهم جميعاً قد وجهوا كل اهتمامهم إلى جمع المادة اللغوية القديمة التي سموها بالفصحى ، والتي وضعوا لها شروطاً ومواصفات تشمل الزمان والمكان ، وتسابقوا في تنظيم هذه المادة ، وعرضها بطرق مختلفة .

ويبرز من بين المحاولات التى بذلت لتسجيل بعض جوانب التطور اللغوى نوعان من البحوث: أولهما: كتب اللحن والخطأ والمولد والتصحيف والتحريف. وثانيهما: كتب المعرب والدخيل. وكتب اللحن – وما لف لفتها – عبارة عن رسائل صغيرة ألفت على مر العصور وفى مختلف الأصقاع التي تتكلم العربية، بقصد علاج داء استشرى فى لغة العرب، وهو داء اللحن والخطأ فى الكلام. وقد بدأ التأليف فيه فى عصر مبكر جداً، ربما منذ القرن الثانى المجرى، وشهدت بدأية القرن الثالث طائفة كبيرة من كتب هذا النوع. ويدخل فى ذلك الباب تلك الفصول التى اشتملت عليها كتب مثل النوع. ويدخل فى ذلك الباب تلك الفصول التى اشتملت عليها كتب مثل المولاح المنطق الابن السكيت، ووأدب الكاتب الابن قتيبة، ووالغريب المصنف والكى عبيد، والتي تعالج مظاهر التغير ات التى حدثت فى بعض الكلمات، سواء

⁼ ص ١٥ ، ١٥ - ٢٢ و بخاصة قوله ، وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر ، (ص ١٥) ، وكذلك باب ، ذكر الحروف التي تدخلها المثنة وما يحضرفي منها ، (ص ٢٥ وما بعدها) . وانظر ص ٧٠ - ٧٤ و بخاصة قوله ، ألا ترى أن السندى إذا جلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجم زايا ، ولو أقام في عليا تميم و في سفلي قيس و بين عجز هوازن خسين عاماً . وكذلك النبطي القح .. يجعل الزاى سينا ، فإذا أراد أن يقول زورق قال سورق ، و يجعل العين هنز ة .. ، (ص ٧٠) ، و مقدمة ابن خلمون ص ٢٠٤ و ما بعدها «فصل في لغات أهل الأمصار ، و ص ٢٤٩ و ما بعدها و فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة لغة مغير و حمير ، وكذلك النصول النالية طذا الغصل

من ناحية اللفظ أومن ناحية الدلالة.أما كتب المعرب والدخيل فمن أشهرها: كتاب الحواليق، ويدخل فيها البحوث المتناثرة التي نجدها في كتب النحو واللغة:

ولكننا ــ مع الأسف ــ لا نظفر لمصر بشيء ذي بال في أي من هذين المحالين إبان فترتنا المبكرة . أما عن الحانب الأول فنحن نجد كتباً ألفت لتتبع أخطاء قطر بعينه أو شعب عربي بذاته ، ومن ذلك « لحن العامة » للزبيدي (ت ٣٧٩ ه) ، الذي تناول فيه لحن عامة الأندلس ، و « تثقيف اللسان وتلقيح الحنان ، لابن خلف الصقلي (ت ٥٠١ هـ) في لحن عامة صقلية ، و ي تقويم اللسان ، لأبن الحوزى (ت ٥٩٧هـ) في لحن عامة بغداد . ومع ذلك لا نجد كتاباً يظهر في البيئة المصرية يعالج بعض مظاهر التغيير الذي حدث في لغة مصر سواء اعتبر هذا تطوراً طبيعياً ، أو رمى بالخطأ . وحتى لو وجد شيء من هذا النوع ، فلم يكن ليفيدنا كثراً ، لأن مؤلفي هذا العصر اعتادوا أن بنقلوا لاحقهم من سابقهم بدون تنبيه على ذلك . فما يتعرض له الواحد منهم فى كتبه ربما لا يمثل بيئته أدنى تمثيل ، وإنما يمثل بيئات أخرى لم يهتم بالتنبيه عليها . وضرر مثل هذا النوع من البحوث المختلطة أكثر من نفعه . وأما عن الحانب الثاني فكان الاتجاه نحو دراسة النقل والتعريب من اللغة الفارسية هو الانجاه الغالب ، ولا نجد إشارة إلى النقل أو التعريب من القبطية ، وبن أيدينا كتاب " المعرب " للجواليقي يشهد بذلك . نعم هناك إشار ات سريعة إلى التعريب من لغات أخرى متعددة ، إلا أن معظم هذه الإشارات ألقى القول فيها على عواهنه : وصدر عن غير ذي ثقة ، وعن أناس لا خبرة لهم باللغات التي يتحدثون عنها ، ولذا لا يمكن الاعتماد على أقوالهم كما سبق أن بينا بالنسبة للسيوطي في كتابه « المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية ... الخ ، كذلك من الأمثلة المؤسفة للعمل المرتجل ذلك البحث الذي كتبه حمزة فتح الله بعنوان ، رسالة الكلمات الغير العربية (كذا) الواقعة في القرآن

الكريم ، ، والذى تنقصه دقة البحث العلمى وتمحيصه . ومن الأمثلة التى ذكرها هذا المؤلف للكلمات المستعارة من اللغة القبطية قوله :

الأولى والآخرة : القبط يسمون الآخرة الأولى، والأولى الآخرة .

سيدهـــا : زوجها بالقبطية .

بطائنها : ظواهرها بالقبطية .

وهكذا :::

وقد حاولت أن أعثر على آثار ذات بال فى مؤلفات اللغويين المصريين المبكرين فى أى من هذين المجالين ، أو فى بجال تحديد مراكز القبائل العربية التى استوطنت مصر ، وتسجيل لهجانها ، وخصائص كل لهجة ، دون جدوى . وكل ما وجدته تصريحات مقتضبة متناثرة هنا وهناك ، لا تكاد تهندى إليها وسط زحام الأبحاث اللغوية الأخرى . فمن ذلك ما ذكره أبو جعفر النحاس وهو كل ما عثرت له عليه بعد البحث والتنقيب الشديدين – من أن :

المصريين يستعملون كلمة وإسباطة و (التي تحولت الآن إلى سباطة)
 ععنى الكباسة أو العذق أو القنو (١) .

٢ – المصرين يستعملون كلمة ﴿ الحسر ، بدلا من المسناة (٢) .

ولكنه لم يذكر لنا فى أى المستويات الكلامية تستعمل هاتان الكلمتان ؟ وهل لهما أصل أجنى أو لا؟

٣ – وروى القلقشندى عن أنى جعفر النحاس أنه قال فى كتابه و صناعة الكتاب و إن و الديوان و اسم للموضع الذى بجلس فيه الكتاب و إنه بكسر الدال و إن فتحها خطأ . وحيث لم يكن هناك دلالة صريحة على أن هذا الخطأ كان شائعاً فى مصر ، فمن المحتمل أن يكونمن الأخطاء العامة ، أو غير الخاصة

⁽١) شرح معلقة امرئ القيس (تحقيق فر نكل ١٨٧٦) س ٢٩.

⁽٢) إعراب القرآن (معهد المخطوطات ١٥ تفسير) ص ١٨٠.

عصر ، وهو ما نرجحه بدليل ورود هذه الكلمة في غيره من الكتب الى عالحت أخطاء العامة أو الحاصة .

٤ – كذلك روى القلقشندى – عن نفس المصدر – أن الكتّاب فى عصر النحاس كانوا – لصعوبة باب العدد عليهم – يعيبون من أعرب الحساب .
 ومعنى هذا كثرة الحطأ فى هذا الباب . وهى ظاهرة ملاحظة فى كثير من النصوص المصرية التى عثرنا عليها لذلك العصر . ولكن – مرة أخرى – هى ظاهرة عامة ، وليست خاصة بمصر .

ويبدو أنه كان في عصر النحاس – ورعما من قبله – حركة قوية بين المستعربين أو غير العرب ضد اللغة العربية ومن يتكلمونها أو يتعلمونها . ويبدو أن كثيراً من أناس ذلك العصر ضاقوا بقيو د اللغة وقو اعدها ، وعجزوا عن إتقانها وتذليل صعوباتها ، فرأوا أن مهاجمة اللغة أيسر من تعلمها ، والنيل منها أسهل من السيطرة عليها . وقد تكفل النحاس بنقل دعوى هؤلاء الشعوبية ، وانبرى للرد عليها وتفنيدها فقال : ، وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلمي العربية جهلا وتعدياً حتى إنهم محتجون بما يز عمون أن القاسم ابن مخيمرة قال : النحو أو له شغل و آخره بغي . قال : و هذا كلام لا معنى له لأن أول الفقه شغل . وأول الحساب شغل ، وكذا أواثل العلوم . أفترى الناس تاركن العلوم من أجل أن أولها شغل؟ قال : وأما قوله : وآخره بغي ، إن كان يريد به أن صاحب النحو إذا حذقه صار فيه زهو ، واستحقر من يلحن ، فهذا موجود في غيره من العلوم من الفقه وغيره ، في بعض الناس وإن كان مكروهاً . وإن كان يريد بالبغى التجاوز فيما لا محل فهذا كلام محال ، فإن النحو إنما هو العلم باللغة التي نزل مها القرآن ، وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم وكلام أهل الحنة وكلام أهل السهاء. ثم قال بعد كلام طويل: وقد كان الكتاب فيها مضى أرغب الناس في علم النحو ، وأكثر هم تعظيها للعلماء ، حتى دخل فيهم من لا يستحق هذا الاسم ، فصعب عليه باب العدد ، فعابوا

من أعرب الحساب . وبعدت عليهم معرفة الهمزة التي ينضم وينفتح ما قبلها، أو تختلف حركتها وحركة ما قبلها فيكتبون يقرؤه بزيادة ألف لا معنى لها (١) ... ». والذي بهمنا من هذا ما يسجله من وجود ضيق بين المتعلمين بقواعد اللغة ، وصعوبة أبواب النحو ، وما يستتبعه ذلك من محاولات لكسر تلك القيود ، والتخفف من قسوتها . وهو ما حدث بالفعل وكان سبباً من أهم الأسباب التي غيرت في شكل اللغة .

وقد وجد لكراع (على بن الحسن الهنائى المصرى) إشارات خاطفة إلى بعض تعبيرات مصرية ، وإن كانت كلها عربية فصيحة ، أو عربية محرفة لا أثر للأجنبى فيها . ولكن لم يلتزم كراع أن يبين لنا فى أى مستوى كلامى كانت تشيع هذه العبارات ، ولم يوضح صراحة ما إذا كانت هذه من اللهجات المحلية أو اللغة المشتركة . ومن ذلك قوله :

- ١ ويقال للذي يوزن به الصنجة والعامة تقول السنجة .
- ٢ الحطاف العصفور الأسود الذي تدعوه العامة عصفور الحنة .
 - ٣ يقال رف الحاجب اختلج .
 - ٤ يقال فش القفل إذا فتحه بغير مفتاح .
- ه يقال فحم الصبى يفحم فحوماً وفحاماً إذا بكى حتى ينقطع صوته . (٢)

وهناك صعوبة أخرى تواجه من يريد بيان الخصائص اللغوية لعربية مصر في تلك الفترة السحيقة ، وهي أن كل المادة التي بين أيدينا وصلتنا عن طريق الكتابة . ومن المعروف أن الرموز المكتوبة لا تمثل إلا قدراً ضئيلا من اللغة .

⁽١) انظر صبح الأعثى ١ /١٧١

⁽٢) انظر – على سبيل المثال – المنجد واللغة لكراع (مخطوط) صفحات ١٣٦ و ١٣٧

فهى تخفى أكثر مما تظهر وبخاصة حين تستعمل الرموز الكتابية العادية لا الرموز الصوتية الدقيقة بعض الشيء . ولم يشذ عن ذلك إلا بعض نصوص قليلة عثر عليها فى دير القديس مكاريوس حيث كتبت بحروف قبطية تمثل الصوت المنطوق إلى حدكبر (١) .

وصعوبة أخرى هي عدم استطاعة القيام بمسح جغرافي لمناطق اللهجات في مصر ، وفصل اللجهات الإقليمية بعضها عن بعض ، أو عمل ما يمكن أن يسمى بالأطلس اللغوى ، نظراً لاختلاط المادة اللغوية التي وصلتنا من ناحية ، واندثار معظمها من ناحية أخرى ، وعدم إمكان تسجيل مادة جديدة لطول العهد بفترة دراستنا ، والتطور الكبير الذي يتوقع حدوثه بعد ذلك . ولهذا لم يكن هناك مفر منأن نعالج المادة اللغوية التي جمعناها باعتبارها وحدة واحدة ولا نشير إلى الخصائص المحلية أو الإقليمية إلا إذاكان في يدنا الدليل على ذلك .

وهناك صعوبة أخيرة هى أن الدراسات القديمة جميعها قد ألقت ثقلها في جانب اللفظ المفرد وبناء الكلمة ، ولم يكن منها ما اهتم بنظام الحملة وجانب النحو والإعراب ولذلك يندر أن تجد إشارة إلى تغيير من هذا النوع .

⁽١) انظر :

Fragments of an Arabic M.S. in Coptic Script, ed. by G. Sobhy.
والملحق رقم ١ للجزء الأول من كناب :

New Coptic Texts from the Monastery of Saint Macarius.

الفصل الثاني

مادة التحليل اللغوي

تتخذ مادة البحث التي اعتمدنا عليها في دراستنا اللغوية صوراً متعددة ، كما أن تارنخها محدد ، ومعروف وقتها الذي كتبت فيه بدقة .

وعلى الرغم من أننا اخترنا القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)كقرن التحول النهائى فى لغة الكتابة والحديث من اليونانية والقبطية إلى العربية ، فقد رأينا أن ندخل فى التحليل اللغوى كتابات القرنين الثانى عشر والثالث عشر كذلك لعدة أسباب ، منها :

أولا: امتداد الفترة الخصبة في كتابات الأقباط العربية إلى نهاية هذين القرنين .

وثانياً : لأن معظم المخطوطات وأوراق البردى العربية التي كشفت حديثاً تتعلق بفترة تمتد نحو سبعه قرون بعد الفتح العربي لمصر .

وثالثاً : لأننا رجحنا احتمال بقاء اللغة القبطية فى بعض الأماكن النائية لمدة قرن أو قرنين آخرين ، ولمدة أطول فى داخل الأديرة وبين الرهبان ، أو كلغة متعلمة بين العلماء الأقباط . ومعنى هذا أن اللغة القبطية ظلت خلال هذه الفترة أداة فى يد بعض الناس لدرجة محدودة وإن لم يحرمها ذلك الحياة فى عقول كثير من الباحثين والمثقفين من رجال الدين الأقباط . ومن الملاحظ أن معظم كتابات الأقباط العربية فى تلك الفترة ، قام بها رجال الدين أو العلماء

المتعصبون للغنهم وقوميتهم القديمة ، ممن كانوا يعرفون القبطية إلى جانب العربية . ومعنى هذا أنهم كانوا فى كتاباتهم العربية متأثرين بثقافتهم القبطية، وبمعرفتهم للغة القبطية وغيرها من اللغات الأجنبية ، كاليونانية والسريانية .

ومن أجل هذا لا يصح إسقاط القرنين الثانى عشر والثالث عشر من حسابنا إذا أردنا أن ندرس آثار اللغة القبطية على عربية مصر ، وأن نؤرخ لحركة التأثير والتأثر من كلا الحانبين على الآخر .

ولكى ندرس عربية مصر فى تلك الفترة ، نحن فى حاجة إلى نماذج عديدة تمثل المستويات المختلفة للغة . فما لاشك فيه أن لغة الكتابة تختلف عن لغة الحديث ، ولغة الكتابة نفسها تنفاوت من كاتب إلى كاتب، وكذلك لغة الحديث نختلف من متكلم إلى متكلم ، ولو جارينا علماء اللغة المحدثين لقلنا إن لكل شخص لغة خاصة ، ولكل متكلم لهجة معينة ، ولهذا فهم لا يرضون فى تقسيمهم لمستويات اللغة عستوى دون المتكلم الفرد نفسه . بل منهم من يذهب إلى أبعد من ذلك فيقسم العادة الكلامية للشخص إلى مستويات متعددة تختلف بحسب حالة المتكلم الراهنة ، ودورد الذى يلعبه فى المجتمع . ومن السهل على المرء أن عيز فى كلام الشخص الواحد بين عدة مستويات ، حين يتكلم مع أسرة صديقه ، أو مع غرباء ، أو مع أفراد ذوى مراكز اجتماعية مختلفة ، أو فى مجال العمل ... الخ .

ولصعوبة هذا النوع من الدراسة أو استحالته بالنسبة للفترة التي ندرسها ، فضلا عما يؤدى إليه من نتائج جزئية خاصة ، فإننا آثرنا أن نتجه في مجال دراستنا إلى الخصائص العامة ، وأن تكون نظرتنا دائماً كلية تصور ما يمكن أن يسمى باللغة أو اللهجة في خطوطها العريضة وظواهرها المشتركة .

والمادة المكتوبة التي اعتمدنا عليها في تلك الدراسة كثيرة ومتنوعة وتشمل ما بأتي : ورقتان مكتوبتان باللغة العربية فى مكان قرب أهرام سقارة و ذلك عام ١٨٢٤م. وقد سلمت الورقتان إلى قنصل فرنسا بالقاهرة يومثذ فاهتم بها وأرسلها للبارون سلفستر دى ساسى المستشرق المتخصص فنشر ما بالورقتين . وبذا بدأت دراسات أوراق البردى ترى النور ، وأخذ هذا النوع من البحوث يتطور منذ أو ائل القرن العشرين حتى أصبح علماً مستقلا له متخصصوه و المشتغلون به.

وبعد مضى خمسين سنة من الكشف السابق ، وجد بالفيوم كمية كبيرة من أوراق البردى نقل معظمها إلى المكتبات الأوربية ، ومن المحتمل أن تكون محفوظات دار الكتب المصرية من هذه البرديات متصلا بهذا الكشف ، أو تكون جزءاً منه . ثم اكتشفت بعد ذلك مجموعات أخرى وجدها الباحثون عن و السباخ ، بن تلال أهناس وإخميم والأشمونين والبهنسا وكوم أشقاو وميت رهينة وإدفو . . ومنها ما عثر عليه في خرائب الفسطاط .

ومن الصعب أن نحدد عدد الأوراق البردية العربية الموجودة في مكتبات العالم الآن نظراً لعدم تمام الفهارس. ولكن يقدرها البروفسر جروهمان خبير البرديات العربية بنحو ستة عشر ألف قطعة موزعة على مكتبات كثيرة من دول العالم مثل فينا ومصر وتونس وألمانيا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا والنرويج وروسيا وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية.

ويقول البروفسر جروهمان إن أوراق البردى العربية ذات الصبغة الأدبية قليلة بالنسبة لمقابلتها فى البرديات اليونانية (١) . وتوافقه السيدة نابية أبوت فى هذا الرأى إذ تقول : إن و وثائق البردى التى اكتشفت ونشرت معظمها يتعلق بالإدارة والاقتصاد . أما أوراق البردى الأدبية فنادرة جداً ، وهى عبارة

⁽۱) انظر جرو همان س ه من کتابه : From the World of Arabic Papyri

عن شذرات متفرقة . وقد بذلت جهود قليلة جداً لدراستها حتى الآن (١) »: ومما عثر عليه في مجال الأدب ورقة من ديوان شعر ، وأبيات متناثرة ، وأحياناً قصائد كاملة . كذلك عثر على قطع من كتاب في النحو وهي محفوظة في مجموعة مكتبة شيكاغو (١) :

وكثير من الوثائق التي عثر عليها وجد متلاصقاً متماسكاً إلى حد يقرب من التحجر ، إلى جانب ما وصل متمزقاً كله أو بعضه بفعل الأرضة أو الرطوبة. ولكن إلى جانب هذا توجد ــ لحسن الحظ ــ قطع سليمة يمكن قراءتها بسهولة.

و تغطى هذه الوثائق فترة تزيد على سبعة قرون من عام ٢٧ للهجرة إلى عام ٧٨٠ ه. وإذا كان لهذه الوثائق قيمة خاصة بالنسبة للمؤرخ ودارس الحضارة الإسلامية فهى من الأهمية بمكان كذلك لدارس اللغة ، وهى ثروة نفيسة من المادة اللغوية قلما يجود التاريخ بمثلها . ويمكن بدراسة هذه الوثائق الوصول إلى نتائج لغوية وفلولوجية هامة سواء من ناحية أسلوب الكتابة الكلاسيكية في تلك الفترة ، أو في أسلوب الكتابة الإدارية أو الرسائل الخاصة ، أو الأسلوب العامى (٢) .

ويكني للتدليل على قيمة هذه الوثائق أنها نقضت ما هو شائع بين الباحثين من أن اختراع الإعجام تم على يد يحيى بن معمر فى النصف الثانى من القرن الأول ، فقد وجدت أقدم وثيقة بردى عربية وهى مؤرخة عام ٢٢ ه وهى تشتمل على نقط فوق الحروف ، ش ، ز ، ذ ، خ ، ن .

وأدم الوثائق العربية التي رجعنا إليها تلك التي نشرها Adolf Grohmann تحت عنوان :

⁽۱) أنظر نابيه أبوت في مقدمة كتابا : Studies in Arabic Literary Papyri

⁽۲) جروهمان : المرجع قبل السابق س ه – ۱۰ .

⁽٣) انظر جروهمان : المحاضرة الأولى عن الأوراق البردية العربية، كذلك مراد كامل الحضارة مصر و العصر القبطى " ص ٧٠ .

- 1 Arabic Papyri in the Egyptian Library.
- 2 From the World of Arabic Papyri.

والتي نشرتها Nabia Abbott تحت عنوان :

- 1 The Kurrah Papyri.
- 2 Studies in Arabic Literary Papyri.

وإلى جانب هذا وذاك توجد مجموعة من النصوص القبطية عثر عليها فى دير البلاعزة حققها الدكتور Kahle ، وهى تغطى فترة محدودة جداً نحو مائة سنة من ٦٧٥ إلى ٧٧٥ م . وهذه الوثائق وإن كانت قد كتب معظمها بالقبطية ففيها نسبة نحو ٦ ٪ كتبت باللغة العربية .

و إليكم نماذج من هذه البر ديات راعينا فيها التنوع لتشمل أكثر من مستوى كلامي :

١ – بسم الله الرحمن الرحيم ، من قرة بن شريك إلى صاحب أشقوه. فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فانظر الذى كان بنى على أسقف كورتك مما فرض عليه عبد الله بن عبد الملك .. فعجل به مع رسولى ورسول الأسقف . ولا توخرن من تلك البقية قليلا ولا كثيراً والسلم على من اتبع الهدى .

وكتب فى ربيع الأول سنة ٩٠ .

٢ – بسم الله الرحمن الرحم . من قرة بن شريك إلى صاحب أشقوه . فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو . فإن إبشادة بن أبنيلة قد أخبر فى أن له على أنباط (فلاحن) من أهل كورتك (خمسة) عشر ديناراً ، فزعم أنهم غلبوه على حقه . فإذا جاككتابى هذا ، وأقام البينة على ما أخبر فى فاستخرج له ، ولا تظلمن عبدك إلا إن كانت بينته غير ذلك فاكتب لى . والسلم على من اتبع الهدى .

وكتب مسلم بن لبنن و نسخ الصلت :

فى صفر سنة إحدى و تسعين .

٣ من قرة بن شريك إلى بطرس جرجه القسطال (حاكم المدينة).
 قد قبضت منك المال الذى من مدينة (أهناس (عما بعَالك من الغرامة)
 مما أدرك عليك من الجباية ... اللخ .

٤ - من قرة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوه . فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنك قد علمت الذى كتبت إليك به من جمع المال الذى قد حضر من عطا الحند وعيالهم وغزو الناس . فإذا جاك كتابى هذا فخذ فى جمع المال ... ثم عجل إلى بما اجتمع عندك من المال بالأول فالأول ، ولا أعرفنك ما حبستنا بما قبلك ، فإن أهل الأرض قد فرغوا من الحرثة وعلموا ما عليهم ... فعجل عجل بما اجتمع عندك من المال فإنه لو قد قدم إلى المال قد أمرت للجند بعطائهم إن شاء الله . فلا تكونن آخر العمال بعثا يما قبلك ، ولا ألومنك فى ذلك والسلم على من اتبع الهدى .

 بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من قرة بن شريك لأهل شبرا بسيرو من كورة أشقوه ، إنه أصابكم من جزية سنة ثمان وثمانين مائة دينار وأربعة دنانير وثلثى (كذا) دينار عدداً ، ومن ضريبة الطعام أحد عشر إردب قمح وثلث إردب .

وكتب راشد في صفر سنة ٩١.

٦ وهذا خطاب مؤرخ عام ٢٤١ ه يتحدث عن هجوم الأسطول
 البيز نطى على دمياط :

یابا حفص ، لو رأیت الناس فیه عندنا الیوم من التخلیط والسخرة . یوخد النواتیة وغیر النواتیة . وکلمن قدروا علیه أخذوه . یدخلواکل یوم جماعة من کل موضع . أسأل الله الفرج من عندرحمته . والأمیر – أیده الله قد خرج إلى المحلة و دمیاط و هو أول یوم من مسرى ، وأخرج معه جماعة

من الحند . وذلك أنه ورد عليه كتاب من أمير المؤمنين – أعزه الله – يشدد عليه أن يريح . عندى رسم كتاب لا أقدر أن أكتب به إليك ... الخ ..

٧ 🗕 وهذه وثيقة من القرن الثالث الهجرى عن تسليم بضائع و دفع نقود :

بسم الله الرحمن الرحم . حفظكم الله وأبقاكم وأمتع بكم وأتم نعمه عليكم و دفع السو عنكم وعنا وعن جميع أمة محمد إنه على ذالك قادر برحمته قد بعث إليكم مع ميمون المكارى بصرة فيها اثنين وأربعين دينر شهرية لى . وفيها دينرين لحمد بن حبة . ومعها في الصرة صرة لسلمن بن داود . . فانظرو إذا وصلت إليكم أن تثبتو إلينا بوصلها إليكم إن شاء الله . وانظرو أن تشترو لى منديلين شقاق محتص ومنديلين رياط محتص . وأنا باعث بهام خمس مناديل حتا يكني ثلثة رياط ومنديلين شقاق جياد . فإن الشقاق الذى بعثت به وحيش جداً . فعليك بالحيد فإن الحيد كويس ... انظر حفظك الله يابا على ألا تشترى إلا الحيد من الشقاق فقد نفر الناس من الوحيش . وقد كتبت إليك غير كتاب ببعث إلى بالقلة الحائج فلم تفعل فيخي على إلاما عجلتها . واشترى لى أربعة قلال صغار للجارية تستقي بهم الما فإنى أحتاج إليهم وتسرنى داللك ...

٨ – وهذه وثيقة كتبت فى القرن الرابع الهجرى :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصل كتابك يا شيخى وسيدى .. وغمى ما ذكرته من الأحوال الذى شرحتها لى مما ذكرت من الحراب الذى نزل بناحبتك عمرها الله ببقايك .. لقد كنت على قلق عظيم وارتجاف شديد لحبس كتابك عنى وبطؤ خبرك على حتى .. ورد بعد ذلك كتابك فزال جميع همى.. وذكرت يا سيدى أيدك الله أمر القمح وشدة حاجتك إليه وأن أتسلف لك من عند عطا أو جبارة أو غيرهم منمن أعلم أن عندهم شيا . فوالله العظيم شانه القوى سلطانه لقد عظم على مكاتبتك لهم تسئلهم مثل هذا المقدار حيث

لم يكون عندى أنا شى أغنيك به من سوالهم ... وبدئه العظيم لقد أحضرت عطا وجبارة وحسن وأولاد عتيق عبد الرحدن وآخوه وأخرجت لهم الدنانبر وسألتهم أن يبيعونى لك المقدار الذى ذكرته بأى سعر أحبوه فبالله إنكان واحد منهم قر لى بمد واحد فضلا عما سواه . وقاموا وبقيت الدنانبر بين يدى . ووكلاك حضر مثل هذا .. فكيف تسمح نفوسهم يسلفو شى وياخذوه وقت الغلة ...

٩ – وهناك إلى جانب ذلك مخطوطة فريدة من نوعها نشرها الدكتور
 جورجي صبحي تحت عنوان :

New Texts from the Monastery of Saint Macarius.

وتقع فى ٣٣ ورقة كاملة و ٦ ورقات ممزقة وورقة صغيرة ، وترجع إلى أواخر القرن الثالث عشر أو القرن الرابع عشر . وأهم ما يميز هذه المخطوطة أن لغتها عربية مكتوبة بحروف قبطية ، وممثلة فيها أصوات العلة إلى جانب الأصوات الساكنة . وتربنا هذه المخطوطة – إلى حد كبير – كيف كانت تنطق عربية مصر فى وقت كتابتها . ولغتها مزيج من العامية والفصيحة . وإليكم اقتباساً من هذه المخطوطة :

احفظ نفسك أن لا يسبى عقلك فى ذكر خطاياك القديمة . بل اذكرها واندم عليها لئلا يذهب منك الاتضاع . فإن ذلك ينقيك من الحطية . لا تكن مناقض تحب تقيم كلمتك لئلا يسكن فيك الشر . لا تجعل نفسك حكيم برأى نفسك لئلا تقع فى أيدى أعداك . عود لسانك يقول اغفر لى والاتضاع يأتيك . إذا جلست فى قلايتك (بيت خلوتك) فاهم مهذه الثلاثة خصال ، دائماً أبداً : عمل يديك و درس مز امير ك و صلاتك . اجعل فى نفسك و ذكرك أن لبس بقالك فى الدنيا .

ثانياً : كتب ألفها علماء متخصصون في الدراسات اللغوية أو الأدبية ،

و يمثل أسلوبها المستوى الرفيع فى الكتابة فى ذلك العصر . وقد اخرنا منها ما يأتى :

۱ ر المكافأة الأحمد بن يوسف المعروف بابن الداية (ت نحو سنة ٣٤٠هـ) الذى هاجر أبوه من بغداد إلى مصر وأصبح من جلة الكتّاب، إلى .

۲ - وأخبار سيبويه المصرى «لابن زولاق اللبثى المصرى (ت سنة ۸۳۸ م) :

٣ – «الرسالة » للإمام الشافعي. ومن المعروف أن الشافعي دخل مصرسنة ١٩٩ هـ ومات و دفن بها سنة ٢٠٤ هـ ، وقد ألف كتابه هذا بمصر . وقد وصف محقق الكتاب المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر أسلوب الشافعي فقال : و لغته حجة لفصاحته و علمه بالعربية . . وأصل الربيع من كتاب الرسالة أصل صحيح ثابت غاية في الدقة والصحة . فما وجدناه مما شذ عن القو اعد المعروفة أو كان على لغة من لغات العرب لم نحمله على الحطأ ، بل جعلناه شاهداً لما استعمل فيه ».

علماء اللغة المصريين الثلاثة الذى اشتهروا فى مصر خلال القرن الرابع الهجرى وهم: كراع (ت سنة ٣١٠ ه) ، وابن ولاد (ت سنة ٣٣٧ ه) ، وأبو جعفر النحاس (ت سنة ٣٣٨ ه) . وإليكم نصوصاً نحتارة من هذه الكتب :

1 - من «المكافأة» لابن الداية:

وحدثتنی أم آسیة قابلة أولاد خمارویه بن طولون .. أنه نزوجها و أختها أخوان ، فأقبلت حال زوج أختها ، وأدبرت حال زوجها . قالت : وتوفى زوجها بأسوأ حالة وخلف لها بنات ..: قالت فكنت أجاهد فى مؤونة ولدى . إذا وقف أمرى صرت إلى أختى فقلت أقرضینى كذا وكذا استحیاء من أن أقول لها هبى لى . و دخل شهر رمضان فلما مضى نصفه اشتهوا على صبیانى حلوى فى العید . فصرت إلى أختى فقلت لها : أقرضینى دیناراً أعمل به للصبیان حلوى فى العید . فقالت یا أختى تغیظینى بقولك أقرضینى ، وإذا العصبیان حلوى فى العید . فقالت یا أختى تغیظینى بقولك أقرضینى ، وإذا العصبیان من أین تعطینى . أمن غلة دورك أو بستانك ؟ لو قلت هبى لى كان

أحسن . فقلت لها أقضيك من لطف الله تعالى الذى لا يحتسب ، وجوده الذى يأتى من حيث لا يرتقب . فتضاحكت وقالت : يا أختى هذا والله من المنى ، والمنى بضائع النوكى . فانصرفت عنها أجرُّ رجلى إلى منزلى .

٢ - من « أخبار سيبويه المصرى، لابن زولاق :

وسمعت سيبويه يقول وقد جرى ذكر ابن المدبر عامل خراج مصر فقال: لقد بلغنى عنه أنه كان سائراً فى جمعه وعديده ، ورجاله و جنوده ، حتى وقفت له امر أة معها أطفال فقالت له : هؤ لاء أطفال فلان وقد طال حبسه وهو فقير ، فالتفت إليها بفظاظة و غلظة و قال : لا يخرج من الحبس إلا بأداء ما عليه . فأنكر كل من حوله الكلام فى أنفسهم . فلم تمض جمعة حتى قبض عليه أحمد بن طولون وسلمه إلى محمد بن هلال عامل خراجه و قال : قيده و غله وألبسه جبة صوف منقعة فى دهن الأكارع مختومة ، وأوقفه فى الشمس على مز باة على باب دارك . ففعل به ابن هلال ذلك .

٣ - من ير المقصور والممدود ، لابن ولاد :

فأما المقصور الذي يسمى منقوصاً فهوما كانت ألفه التي في آخره مبدلة من ياء أو واو وانفتح ما قبلهما ، وكانت في موضع حركة فأبدل منها ألف نحو ملهي ، ألفه مبدلة من واو لأنه من اللهو ، ومرمي ألفه مبدلة من الياء لأنه من الرمى . والأصل فيها ملهو ومرمى ، فلما تحركت الواو والياء وانفتح ما قبلهما أبدل منهما ألف . وكذلك عصا ورحى . . وإنما سموا عصا ورحى وما شاكل ذلك منقوصاً . . من أجل أن الألف أبدلت مكان الياء والواو . . فلم يدخلهار فع ولا نصب ولا جر . . فهذا وجه نقصانها .

٤ - من كتاب، المنجد ، لكراع :

قال أبو الحسن على بن الحسن الهنائى : هذا كتاب ألفته فها اجتمعت عليه

الحاصة والعامة من الألفاظ التي عمّت مرائيها وخصت معانيها ، وجعلته منة أبواب :

الباب الأول منها في ذكر أعضاء البدن من الرأس إلى القدم.

الباب الثانى فى ذكر صنوف الحيوان من الناس والسباع والبهائم والهوام . الباب الثالث فى ذكر الطبر الصوائد منها والبغاث وغير ذلك .

الباب الرابع فى ذكر السلاح وما قاربه .

الباب الخامس في ذكر السهاء وما يليها .

الباب السادس فى ذكر الأرض وما عليها . وفى هذا الباب ٢٨ فصلا على عدد حروف الهجاء من الألف إلى الباء. وأثبت فى كل باب منها ماقصدت له من الحروف المتشابهة بأجناسها وما سنح من الشواهد عليها مما يكون فيه الدلالة دون الإكثار والإطالة . وبالله التوفيق والتسديد ومنه العون والتأييد .

ثالثاً : كتب ألفها علماء أقباط ظلوا محتفظين بدينهم ، وتعلموا اللغة العربية لسبب أو لآخر وأتقنوها ، ولكن ظلت كتاباتهم تعكس خصائص معينة وتبدو عليها المسحة الأجنبية . وقد اخترنا من بن هؤلاء العلماء :

١ - سويرس بن المقفع (القرن ٤ هـ) في كتابه: وسير الآباء البطاركة ٥.

٢ - سعيد بن بطريق (القرن ٤ ه) فى كتابيه : « التاريخ الجموع على التحقيق والتصديق ٥ و « البر هان ٥ .

۳ – الشيخ أبو صالح الأرمنى الذى هاجر إلى مصر واستوطن بها
 (القرن ٦ ه) وله كتاب مشهور فى التاريخ .

٤ - مجموعة من العلماء الأقباط وجدوا فى القرنين ٦ و ٧ ه و تركوا
 مؤلفات بالاغة العربية معظمها يتناول النحو القبطى و التعاليم المسيحية. و على رأسهم :

(أ) أولاد العسال. وأصلهم من بلدة سدمنت من صعيد مصر من عائلة رجل اسمه أبو البشر يوحنا الكاتب المصري . وقد شغل بعض أولاد العسال مناصب كبرة في الحكومة . وألفوا كتباً في الديانة المسيحية باللغة العربية . و ترجموا بعض الكتب الدينية من اللغة القبطية إلى اللغة العربية ، وألفوا بعض الكتب في الغرض المتقدم . ويبدو من كتبهم أنهم أخذوا نحظ وافر من الثقافة الإسلامية . واشتهر بينهم الصفي ابن العسال وله مجموع يسمى المحموع الصفوى . . وهو كتاب ضخم ألف في فقه المذهب الأرثوذكسي ، وقد رجعًا إليه . وللأسعد ابن العسال أرجوزة في المواريث جاء فيها:

إذ فاض محر جوده وفضله لابن الإله السيد المسيح

الشكر لله الوحياد الذات سبحانه مثلث الصفات أحمده حمدا كما هو أهله أزياد فى التمجيـــد والنسبيــــح ومنها :

فى الإرث خذ مختصرًا من فرع والقر والحمال والقربان فالشرع قار صره مقدما يألهـــــا الطالب علم الشرع اسمع هديت أفضل السييل ابدأ نما يصلح للأكفيان أوف الدبون قبل أن تقسما

ولأنى الفضل بن العسال معجم سهاه ، السلم المقفي والذهب المصلى ٧ . وهو معجم قبطي عرني رجعنا إليه . والمؤتمن بن العسال كناب في نحو المغة القبطية سهاد ﴿ المقادمة ﴿ رجعت إليه .

(ب) أنبا يزانس (يوحنا) أسقف سمنود المشهور باسم انسمنو دى ، وله مقدمة أجرومية و سلم (مجموع كلمات) . وقد رجعت إنى مقدمته في خو اللغة القبطية .

- (ج) الوجيه القليوبي الذي ألف كتاباً أسهاه « الكفاية في نحو اللغة القبطية ٤٥ وقد رجعت إليه م أ
- (د) الشبخ الرئيس ابن كاتب قيصر الذي ألف كتاباً في نحو اللغة القبطية سهاه ، التبصرة ، ، وقد رجعت إليه .
- (ه) ابن الدهري الذي ألف مقدمة في نحو اللغة القبطية n رجعت إليها .
- (و) ابن كبر شمس الرياسة أبو البركات الذي ألف و السلم الكبير و وهو فى تفسير كلمات قبطية بالعربية ، مرتبة على المعانى وهى على أبواب . وقد رجعت إليه كذلك . وله إلى جانب ذلك مجموعة من الحطب الدينية . ويبدو من مؤلفاته أنه واسع الاطلاع على التاريخ والأدب العربي وعلوم اللغة العربية .

والظاهرة التى تلفت النظر فى مؤلفات هؤلاء أن معظمهم لم يكن متمكناً من اللغة العربية ، وكان أسلوبه ركيكاً أو أشبه بالأسلوب الدارج منه بأسلوب الكتابة ، وإن تفاوتوا فى ذلك بشكل ملحوظ . ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا القليلون جداً الذين يصعب تمييز كتاباتهم من كتابات العرب أو المسلمين .

ولكثرة ما ظهر من إنتاج في هذه الفترة سمى بعضهم القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين (٦ و ٧ ه) بالعصر الذهبي لآثار الأقباط الفكرية .

وإلبكم نماذج مختانمة لكتابات هذه المجموعة :

١ ــ من المجموع الصفوى الابن العسال :

باسم الأب والابن والروح القدس إله واحد ، له المحد دا مماً إلى الأبد . آمين . المحد لله الذي شرفنا بأفضل الإيمان والأعمال ، وثقف أفعالنا الظاهرة والباطنة بشريعتي المبدأ والكمال . وبعد : فإن هذا الكتاب مجموع من الكتب الإلهية ، والقوانين البيعية ، ومما فرعه العقل عليها ، ورده القياس إليها ، جمعاً يخاو مع الاختصار من الإخلال : ويجمع بين فائدتى التفصيل و الإجمال. أعتضد فيه بمجموعات جمعت ببصيرة وتوفيق واجتهاد ، وأنتخب من موضوعات وضعها من له فى التصنيف خبرة وتحقيق واعتياد .

٢ - من ١ سير الآباء البطاركة ١ لابن المقفع:

فشال الدبوس ليضرب أبى على رأسه فقدم رأسه إليه . فلما أراد أن يضربه صاحوا عليه جماعة من أصحابه المستخدمين ، ولم يدعوه يضربه . وكان جميع العسكر يقولوا بلسانه حقاً إن هذا الأسقف نعم الحادم لربه . ثم جاء رسول أبى قائلا ادخلوا بجميعهم فقد استدعاهم الملك ، فلخلنا جميعاً فكان مروان جالس على شاطىء البحر . . فأمر أن بجعلونا على يساره فى ناحية مفردة ، وأمر أيضاً بإحضارنا وتسليمنا إلى قوماً آخرين غير الذين جابونا من الإسكندرية . . فلما حميت الشمس أعد لنا ذلك الأمر آلة العذاب . . وحمل على كل مركب ثمانين رجل . . وكانوا الحراسانيين قد جابوا مراكب عدة إلى مصر ، فلما جاءت عشرة ساعات من ذلك اليوم تقدم إلى يزيد عدة إلى مصر ، فلما جاءت عشرة ساعات من ذلك اليوم تقدم إلى يزيد عدة إلى مصر ، فلما جاءت عشرة ساعات من ذلك اليوم تقدم إلى يزيد

٣ – من وتاريخ الشيخ أبي صالح الأرمبي ٥ :

ورجع طلع إلى الأب البطرك .. فقال له البطرك إيش رجع جانبك إلى عندى يا محروم بهذا الزى المغير عن صنعتنا ، ومد يده إلى رأسه وطرح البرطلة .. وإن أحد تلاميذ البطرك أعاد البرطلة على رأسه فصعب ذلك على البطرك .. وقام من عنده و خرج مخزى لا يعرف كيف بمشى .. ثم إن بطرك الملكية شيعه دير القصير وأقام به هو وأصحابه ... إلخ .

٤ - من « مقدمة في نحو اللغة القبطية » لابن الدهرى :

المجدلة العظيم العلى ، القديم الأزلى ، ذى الطول المتين ، والفضل المبين ، الذى أصفى موارد حكمه ، وأضفى ملابس نعمه ، للعاملين والعالمين ، وأسدل

جلابيب كرمه ، وأسبل شآبيب دعه ، على العاكفين العارفين ، وأنار بصائر أولى الهداية بنور الحقيقة ، وعلم البقين ، وعم فضله ، وخص فيضه للعاملين والمرسلين ، وقسم المواهب بين براياه ، على قدر استعداد القابلين والقائلين ، وميز الإنسان بالعقل والنطق عن بقية الحيوانات غير الناطقين ...

من «مقدمة فى نحو اللغة القبطية » للسمنودى :

كان لما كانوا آباء فضلاء لأجل عدم تفسير اللسان القبطى قد تقدموا وعملوا سلماً للتفسير ، وجمعوا فيه جميع الكلام من الأسهاء والأفعال ، وقصدوا بذلك كمال معرفة التفسير ، وإن بعض الناس لما استكثروا مقدار جملة الكتاب وأنه لا محصل لهم قصد في جزء منه دون حفظ جميعه فلذلك ملوا وكسلوا قضى الحال إلى أن أعمل تفسير كلام كتب البيعة أعنى الحديثة وهم الأناجيل المقدسة ورسائل بولص الرسول .. وما انضاف إليهم مساقاً على فصوله أولا فأولا .. وجعل إنجيل بوحنا فاتحته لأجل سهولة كلامه ليسهل على فصوله أولا فأولا .. وجعل إنجيل بوحنا فاتحته لأجل سهولة كلامه ليسهل الطالب القصد بذلك .

رابعاً : متفرقات ونماذج نثرية شعرية متناثرة في كتبالادبوالتاريخو اللغة

أذكر من بينها «صبح الأعشى » للقلقشندى ، و « الولاة و القضاة » للكندى ، و «النجوم الزاهرة» لابن تغرى بردئ ، و من أمثلة ذلك :

١ - كتب ابن عبد كان على لسان أحمد بن طولون إلى ابنه العباس:

من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين إلى الظالم لنفسه ، العاصى لربه ، الملم بذنبه ، المفسد لكسبه ، العادى لطوره ، الحاهل لقدره ، الناكص على عقبه .. سلام على كل منيب مستجيب ، تائب من قريب .. أما بعد فإن مثلك مثل البقرة تثير المدية بقرنيها ، والنحلة يكون حنفها فى جناحيها .

وستعلم - هبلتك الهوابل - أبها الأحمق الحاهل الذي ثني على الغي عطفه ... أي مورد هلكة سلكت ...

٢ _ من الشعر الذي قبل في قضية القاضي العمرى:

قال طاهر القيسى:

راموا العلا وتحوتكوا وتعربوا ونسيب أصلهم الذى قد غيبوا

ولقد قمعت بني الخبائث عندما فرددتهم قبطا إلى آبائهـــــم

وقال المعلى الطائى بهجو القاضي العمرى :

كم كم تطول في قراتكك والحور يضحك من صلاتك ن بما ارتشيت من الحواتك

تقضى نهارك بالهـــــوى فاشرب على صرف الزمـــا

الفصلاكالث

المؤثرالاول: اللغة القبطية

إن حياة أى لغة بمعزل عن التأثير ان الحارجية شيء خيالى ربما لم يتحقق لأى لغة على مدى تاريخها الطويل. ومهما فرض من قيود ووضع من سدود حول اللغة ومتكلميها فإن الاحتكاك بالعالم الحارجي لابد أن يحدث ، والتبادل اللغوى لا مفر من أن يتم .

وحين بحدث _ لسبب أو لآخر _ أن تلتى لغنان أو أكثر في مكان واحد ، لا يمكن أن يتصور وقوف كل منهما بمعزل عن الأخرى تقول لا مساس ، وإنما الذي بحدث أن يبدأ الاحتكاك بينهما ، وأن يتبادلا التأثير والتأثر . وبعد فترة تطول أو تقصر قد تتمكن إحداهما من القضاء على الأخرى والحلول محلها ، وقد لا محدث هذا وتظل اللغتان جنباً إلى جنب تتعرض كل منهما لسهام الأخرى دون أن تقضى عليها .

ولا يعنى انتصار لغة والهزام أخرى أن اللغة المنهزمة تموت وتتلاشى من الوجود بهائياً ، فهى ربما تختفى كلغة متكلمة عامة وتظل مستعملة فى مجالات ضيقة ، وبين عدد محدود من الناس لمدة طالت أو قصرت . كما لا يعنى الهزام لغة أنها تموت موتاً كاملا فهى تظل حية حياة جزئية فى شكل بقايا وآثار تختلط باللغة المنتصرة ، وتصبح جزءاً لا يتجزأ منها . وقد حدث هذا – على سبيل المثال – مع اللغة العربية حين رحلت إلى بلاد الفرس وقام الصراع بينها وبين الفارسية ، فقد خرجت العربية منتصرة فى هذا الصراع ، ومع ذلك فقد

أصابها قدر كبير من التغبير الذي يميز عربية ما وراء نهرى دجلة والفرات من سائر العربيات . وحدث هذا أبضاً مع اللغة العربية حن وفدت إلى مصر مع العرب ، واختلطت باللغات المحلية التي كان أهمها القبطية ثماليونانية . فحن استوت اللغة العربية على سوقها ، وقهرت أولا اللغة الرسميةوالثقافية وهي اليونانية ، ثم اللغة الوطنية وهي القبطية ، تحملت آثاراً من كل منهما ، وظهرت عليها ملامح من كلتا اللغتن . ويبدو أنالتأثير اليوناني على عربيةمصر كان محدوداً، إذ لم يتعد إقراضها بعض المفردات، ومخاصة في مجال المصطلحات العلمية ولغة الدواوين ، لأنها لم تكن لغة متكلمة بقدر ماكانت لغة مكتوبة ، ولم تشع على ألسنة العامة شيوع اللغة القبطية . ومعظم الصراع اللغوى يتم بن لغنين حيتين متحركتين تريد كل منهما السيطرة على لغة الحياة العامة . واحتكار ميدان الحديث والتخاطب العادى. وفضلا عن ذلك فإنه من المستحيل - بالنسبة لكثر من الكلمات - القطع بأن الاقتراض من اليونانية قدتم في مصر ولم يتم في بلد عربي آخر، وأنه خاصة تميز عربية مصر من سائر العربيات. وصعوبة أخرى تمس التأثير اليوناني في عربية مصر يتمثل في صعوبة الفصل بينه وبن التأثير القبطي م وذلك لأن اللغة القبطية حن جاءت إلى معركتها مع العربية كانت قد اقترضت كلمات كثيرة من اليونانية ، ومخاصة في مجال الطقوس والعبادة وحياة الرهبنة . وحين ترجمت الكتبالمقدسة إلىاللغة القبطية رؤى المحافظة على كل الكلمات اليونانية التي لها دخل بالعقيدة أو تعبر عن أفكار مسيحية . ولذلك نجد من يبحثون في النأثير الأجنبي على عربيةمصر يدمجون اللغتين القبطية واليونانية ، ويتحدثون عنهما معاً في وقت واحد . وخبر مثال على هذا ما فعله الدكتور جورجي صبحي في محثه المعنون . :

Common Words in the spoken Arabic of Egypt of Greek or Coptic Origin.

فلهذا كله سنركز حديثنا على الأثر القبطب وستكتفى بالإشارة العابرة إلى التأثير اليوناني حن نملك الدلبل عليه .

فإذا أردنا الحديث عن التأثير القبطى وجدنا شقة الحلاف تتسع بين الدارسين حول مداه على عربية مصر إلى حد التطرف في الانجاهين المتضادين. ففريق بالغ مبالغة واضحة في ادعاء الأثر القبطى ، وأخذ يتصيد أى فرصة لإثبات نفوذه ، كما حاول تفسير كثير من الملامح الحاصة بعربية مصر على أنها من آثار اللغة القبطية ، وفريق آخر أخذ الطرف المضاد ، وبالغ في التقليل من آثار القبطية على العربية ، وحاول تفسير كل ظاهرة يشم منها رائحة القبطية تفسيراً خرجها عن هذا المجال ، وهناك فريق ثالث توسط بين الرأيين ، وسلك مسلكاً معتدلا لا تحيز فيه لأحد الحانبين ولا تعصب فيه لإحدى اللغتين ضد الأخرى ، ويوجد فريق رابع من الدارسين مسالقضية مساً خفيفاً وأشار إشارات عابرة إلى التأثير القبطى وأعطى أحكاماً مبتسرة ليست مبنية على التحليل العلمى للواقع اللغوى ، وسنعرض في إنجاز لهذه الانجاهات الأربعة ثم نعقب برأينا في الموضوع .

أما الفريق الأول: فيمثله الدكتور جورجي صبحي الذي اشتهر بأبحاثه الضافية في هذا الموضوع. ونشره لكثير من الوثائق والبر ديات الهامة. ولكنه مال كل الميل في أحكامه. وحاف حين أراد أن ينسب كل شيء إلى القبطية. ومما قاله في هذا الموضوع:

۱ – بفحص مفردات اللغة العامية العربية فى مصر يفاجأ الشخص بأن نجد عدداً عظيماً من الكلمات التي يمكن ردها بسهولة إلى أصلها المصرى القديم أو أصلها القبطى(١) .

⁽۱) انظر جورجی صبحی ص ۲۲ من کتابه :

Common Words in the Spoken Arabic of Egypt of Greek or Coptic Origin. : من مقاله :

Studies of Ancient Egyptian in Modern Dialects

المنشور بمجلة : Ancient Egypt عام ١٩٢١ .

۲ – من الممكن أحياناً ترجمة جملة صعيدية إلى القبطية ترجمة حرفية
 بلون تغيير نحوى ، أو عمل أى تعديل فى نظام الحملة(١) .

٣ – استعمال القبطية بجانب اللغة العربية فى مصر لمدة طويلة من الزمن قد ترك آثاراً قبطية كثيرة فى اللغة العربية الدارجة ككلمات وتعابير وتراكيب أثرت على تعابير وتراكيب اللغة العربية الدارجة فى مصر ، حتى فى نطق حروف هذه الأخيرة ، وبذا أصبحت لغة مصر الدارجة مختلفة بالمرة عن سائر لهجات اللغة العربية المستعملة فى الأقطار المجاورة لمصر ، ليس فقط فى معجمها ، بل فى نحوها وصر فها(٢) .

غ – من الغريب أن الاختلاف الحالى بين لهجات اللغة العربية الدارجة
 (في مصر) يوافق جغرافياً الاختلاف بين اللهجات القبطية القديمة(٣) .

كا يتمثل تطرفه فى القوائم الطويلة التى قدمها فى كتاباته المختلفة
 لكلمات شائعة فى عربية مصر ادعى أن لها أصلا قبطياً(؛)

ويشاركه في القوامم الطويلة باحث قبطي آخر هو الأستاذ جرجس فيلوثاؤس عوض (٥). كما يشا ركه في مبالغاته في مدى التأثير القبطي على اللغة العربية مستشرقون كثيرون منهم D. Prince الذي يقرر أن هناك أثراً كبيراً للقبطية على العربية المصرية يشمل نظام الجملة والمفردات وطريقة النطق ، ومثل E. Littmann ومثل F. Praetorius و دفوذ

⁽١) نفس المرجمين و نفس الصفحتين السابقتين .

⁽٢) قواعد المانة المصرية القبطية للدكتور جورج صبحى ص ٣ و ؛

⁽٣) المرجع السابق من ٤ و ٨ .

⁽١) انظر مثلا ص ٧٤ و ما بعدها من : ٧٤ و ما بعدها من الفار مثلا ص

ربخه ... Common Words ، وبخه :

The Persistence of Ancient Coptic Methods of Medical ...

⁽ه) انظرائجلة القبطية السنة الأولى ص ١٤٠ وما بعدها ، وص ٣٦٩ وما بعدها، وص ١٢٠ وما بعدها . وما بعدها .

قبطى كبير وبخاصة فى مجال النحو ونظام الجملة ، وردوا عدداً من خصائص اللغة العربية المصرية إلى أصول قبطية .

وسوف نناقش هذا وغيره حيمًا بأتى دور إبداء رأينا في الموضوع .

وأما الفريق الثانى: فيمثله المستشرق المشهور Stern, Praetorius, Littmann مفسراً الذى ينفى هذا التأثير بشدة، وخالف Stern, Praetorius , Littmann مفسراً الأمثلة التي ذكروها على أنها ذات أصل قبطي – تفسيراً عربياً صرفاً . ويؤمن أوليرى بأن لهجة الصعيد لا تعكس نفوذاً قبطياً – كما يزعم بعضهم – وإنما تعكس نفوذاً بدوياً عربياً . وممن أنكر وجود أى تأثير نحوى للغة القبطية على عربية مصر المستشرق E. Galtier في محدد أ كا ين محدد الاستشرق De l'influence du Copte sur l'Arabe d'Egypte

وأما الفريق الثالث: فيمثله الدكتور ولسن بشاى الذى درس القضية دراسة موضوعية ونظر إلى جميع أطرافها نظرة علمية صرفة ، وانتهى إلى محدودية التأثير الصوتى للهجة القبطية الصعيدية على اللهجة العربية المصرية المستعملة فى الصعيد ، وانعدام تأثير اللهجة القبطية البحيرية على لهجة القاهرة. أما فى مجال النحو فقد أثبت أربعة أمثلة فقط للتأثير القبطى على المصرية الدارجة وعقب ذلك بقوله: « وهذه النتيجة تدل على أن النفوذ القبطى على العامية المصرية من جانب النحو قليل جداً بدرجة تثير الانتباه ». وأما فى مجال المفر دات فقد جمع الكاتب أكثر من مائي كلمة ادعى غيره اقتر اضها من اللغة القبطية فوجد من بينها ١٠٩ كلمات فقط وافق على اقتر اضها ، أما الباقى فمعظمه تمكن من رده إلى أصله العربى ، وبعضه وجده مقترضاً من لغات أخرى غير القبطية . وانتهى بفحصه إلى النتيجة الآتية: « إن معظم الكلمات القبطية المقترضة تتعلق وانتهى بفحصه إلى النتيجة الآتية: « إن معظم الكلمات القبطية المقترضة تتعلق

Notes on the Coptic Language انظر (۱)

⁽۲) انظر (۲) المنطق (۲) المنطق

بكلمات خاصة بالكنيسة . وكلمات تستعمل فى القرى النائية وغير معروفة لكثير من المصريين . أما الكلمات القبطية المشتركة الموجودة فى المصرية الدارجة فقالمة العدد ه (١) .

و نحن و إن كنا نوافق الباحث فى نظر يته العامة فإننا نخالفه فى بعض النفصيلات كما سيأتى فى موضعه .

وأما الفريق الرابع: فيمثله يوهان فوك الذي قال في كتابه والعربية وبيما أثرت الفارسية في عربية العراق تأثيراً بعيد المدى وكثرت في اللغة العربية الفصحى الألفاظ الفارسية المعربة بصوره ملحوظة ، فإن أثر القبطية في اللهجة العربية جد ضئيل و ، والدكتور عبد الرحمن أيوب الذي قال في كتابه والتطور اللغوى و : وإذا كان من الصحيح أننا نتكلم اليوم لهجة عربية فمن الصحيح أيضاً أن كثيراً من الحصائص القبطية قد تسربت إلى هذه اللهجة و ، واكنفيا بذلك دون أن يحاولا مناقشة القضية مناقشة علمية . أو يقدما الدليل على ما قالاه .

أما نحن : فنرى أن التأثير القبطى على عربية مصر لا يمكن إنكاره . وأن فنرة التأثير القوى كانت في القرون الثلاثة أو الأربعة الأولى حينها كانت اللغتان حيتين ومتكلمتين . وقبل أن نبدأ دراستنا التفصيلية لهذا الموضوع نحب أن نوضح المبادىء الآتية :

ان بعض التأثيرات القبطية قد غزا العربية الفصحى المشتركة .
 وذكر فى كتب اللغة الموثوق بها (١) - وبعضها انتقل إلى عاميات أخرى غير عامية مصر .

Notes on the Coptic Substratum in Egyptian Arabic : انظر : العلم المواقعة بالله المواقعة المحكورات من جامعة جوانو هو يكانوا بالله المتحدة المحكورات المتحدة المحكورات المتحدة المحكورات : The Coptic Influence on Egyptian Arabic. ولكناني أم أنمكين من الحصول عليها .

⁽٢) مبنق التعثيل لذلك بكلمات مثل ، قبس ، و ،، صداع ، و ، مشعد ، (الظر التعهيد) .

٢ - أن قضية التأثير والتأثر من القصايا الشائكة التي يعسر أو يستحيل في بعض الأحيان القطع فيها برأى . فرب كلمة عربية بظن أصلها القبطي يظهر فيها العكس أو يظهر لها أصل أجني آخر تكون اللغتان قد استعارتاها منه سواء عن طريقين منفصلين أو عن طريق إحداهما . ور بما يمكني أن أمثل لذلك بكلمة و سفتجة وبمعني و إيصال والتي وردت في وثيقة عربية من وثائق البردى المحفوظة بدار الكتب المصرية . والتي يرجع تارخها إلى عام ٣٤٦ ه . والتي يرجع تارخها إلى عام ٣٤٦ ه . فواضح أباكلمة غير عربية . ولكنها في الحقيقة ليست قبطية وإنما فارسية (۱) . ومن أمثلة ذلك الكلمات اليونانية الأصل الموجودة في كانا اللغتين القبطية والعربية . إذ لا يمكننا أن نقطع هل كانت قد دخلت العربية عن طريق والعربية أو عن اليونانية مباشرة . كما لا يمكننا أن نقطع ما إذا كانت هذه الكلمات قد دخلت العربية عن طريق مصر أو عن طريق بلد عربي آخر . ورب كلمة تحدها في العربية واليونانية فنظن أن أصلها يوناني و هي في الحقيقة عربية أو سامية . وقد ضرب الأب أنستاس مارى الكرملي أمثلة كثيرة لهذا في خنه المعنون و تناظر العربية واليونانية واليونانية ، الموجود عجلة مجمع اللغة العربية . المؤول .

٣ – أن اللغة المصرية الحديثة نتاج احتكاك بلغات أجنبية كثيرة مثل اليونانية والتركية والفارسية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية ، ولاشك أن كلا من هذه اللغات قد ترك آثاره عليها . ومن أجل هذا فإن الكلمات غير العربية المستعملة في المصرية الحديثة لا يمكن ردها إلى القبطية إلا بعد استبعاد آثار اللغات السابق الإشارة إليها .

٤ – أن كثيراً من الحصائص التي تتميز بها عربية مصر عن سائر العربيات مرده أسباب أخرى غير النفوذ الأجنبي وغير التأثير القبطي مثل (١) انظر كناب تفرير الألفاظ الدنياة في اللغة العربية مع ذكر أصالها بحروفه تقتر صربيا الهنيسي من ٣٥.

التطور الطبيعى للغة ونفوذ اللهجات العربية . ومن الثابت تاريخياً أن القبائل العربية التى وفدت إلى مصر كانت كثيرة ومتنوعة وأنها حملت معها سهات لهجاتها وخصائصها. وكثير من هذه السهات والحصائص لم يسجل ولم يدرس، وبالتالى فمعرفتنا به محدودة أو معدومة . ورب ظاهرة نظن أصلها القبطى يرجع أصلها إلى لهجة عربية ، أو يمكن ردها بعد التدقيق إلى قبيلة عربية معينة ، على نحو ما سنذكر فها بعد .

- ان درجة تأثیر اللغة القبطیة علی عربیة مصر قد تفاوتت من مستوی لغوی إلی مستوی آخر ، وربما من کاتب إلی کاتب ومن متحدث إلی متحدث .
 ولکننا فی در استنا سنقسم المستویات اللغویة إلی ثلاثة . و نعالج کلا منها علی حدة . هذه المستویات هی :
- (أ) المستوى الأدبى، أو اللغة الكتابية للأدباء، وهذا يتمثل فى كتابات كبار الأدباء الذين شغلوا مناصب رؤساء دواوين الإنشاء، والتى كانت تتبع مباشرة الوالى أو الحليفة. كما يتمثل فى كتابات المتخصصين فى اللغة العربية وأشعار الشعراء التقليديين ورجال الأدب بعامة.
- (ب) المستوى نصف الأدنى ، أو اللغة الكتابية لغير المتخصصين . وهذا المستوى تمثله كتابات صغار الكتاب وموظنى الحكومة فى تسجيلهم للوثائق وكتابتهم للعقود و نحو ذلك . كما تمثله كتابات غير المتخصصين الذين خلفوا كتابات باللغة العربية دون أن محققوا مستوى رفيعاً فى تعلمهم اللغة العربية . والأمثلة على هذا المستوى قد حفظت لنا فى شكل وثائق من أوراق البردى ، كما حفظت فى شكل مؤلفات و صلتنا مماكتبه المؤلفون الأقباط باللغة العربية مثل سويرس بن المقفع وسعيد بن بطريق .
- (ج) المستوى العامى ، أو مستوى لغة التخاطب . وبالنظر إلى التأثير القبطية الموجودة في لغة الكتابة

لهذه الفترة – اعتبرناها موجودة كذلك فى لغة الحديث . كما اعتبرنا الآثار القبطية الموجودة فى لغة الحديث الآن تمثل الآثار القبطية التى كانت موجودة فى فترة دراستنا ، إذ أننا نفترض أن هذه الآثار إنما ترجع إلى القرون الأولى للهجرة حينها كانت اللغة القبطية لا تزال لغة حية متكلمة ، وحينها كان لها نفوذ على اللغة العربية .

آننا فی در استنا للأثر الفبطی سنفصل بین ثلاثة أنواع من التأثیرات وسنحاول أن نتبع كلا منها علی حدة . أما هذه الأنواع الثلاثة فهی :

- (أ) التأثرات الصوتية.
- (ب) التأثيرات النحوية والصرفية .
- (ج) التأثيرات في مجال المفردات.

وإليكم التفصيل :

(١) التأثير الصوتي

من الصعب أن نتبع التأثير القبطى على الأصوات فى لغة الكتابة على المستوين الأول والثانى ، ولهذا فسنقصر حديثنا على المستوى الثالث ، وهو مستوى لغة الخطاب .

لاشك أنه من أهم الصعوبات الى تصادف المتحدث بلغة أجنبية ، نطقه للأصوات غير المألوفة ، أو غير الموجودة فى لغته . ويزداد الأمر صعوبة إذا بدأت المحاولة فى سن متأخرة بعد تعود الحهاز النطنى النطق بطريقة معينة . ولهذا فنحن نتصور أن الوضع فى المرحلة الأولى من الاختلاط كان هكذا : يتحدث العربى بطريقته الحاصة غير المشوبة بعنصر أجنبى ، أما القبطى الذى تعلم اللغة العربية فكان يتحدث بلهجة مخلوطة بلكنة أجنبية ، أو بعبارة أخرى

كان " يقبط " نطقه العربي . ومع ذلك فنحن نتصور أن نطق القبطى للغة العربية لم يتخذ في يوم ما مقياساً للغة الحديث ، ولم يقبل كنموذج للصواب اللغوى . والسؤال الآن : هل تركت اللغة القبطية أى آثار على الناحية الصوتية للغة الحديث بحيث صارت هذه الآثار حقيقة مسلما بها ، و دخلت لغة الحطاب العامة ، وأصبحت لا تثير انتباه المتكلمين . ولا يشعر بغرابتها أو شذوذها السامعون ؟

بحيب بعضهم عن هذا السؤال بالإنجاب . ويضربون أمثلة على هذا التأثير . ولكن بالفحص الدقيق بتبن خطأ هذا الرأى ، وعدم صحة الأمثلة التى ذكروها . ومما قبل في هذا الموضوع إن العربية الصعيدية تنطق صوت و الحيم ، بقيمته الصوتية القبطية . فهى تنطقه ل كما ينطق في اللغة القبطية وبصورة مختلفة عن نطقه في كل الأقطار الأخرى المتكلمة باللغة العربية (١) . ولكن الحقيقة أن نطق الحيم الموجود بين عامة الصعيد يعكس على ما حقق دى لاسى أو ليرى – أثراً بدوياً لا أثراً قبطياً. وقيل كذلك إن نطق القاف حيا غير معطشة في لغة الصعيد حدث بتأثير النطق القبطي للرمز كما الذي عثل جما غير معطشة في لغة الصعيد حدث بتأثير النطق القبطي للرمز كما الذي عثل وهذا أيضاً غير صحيح ، لأن نطق القاف جما غير معطشة يقع كذلك – القبرية في جدة ومكة ونجد .. وأجزاء من فلسطين والعراق .. ولهذا فهو العربية في جدة ومكة ونجد .. وأجزاء من فلسطين والعراق .. ولهذا فهو الوسطى ي فهو – مرة أخرى – خاصة بدوية وليس خاصة قبطية بها الوسطى ي فهو – مرة أخرى – خاصة بدوية وليس خاصة قبطية بها الوسطى ي فهو – مرة أخرى – خاصة بدوية وليس خاصة قبطية بها والوسطى ي فهو – مرة أخرى – خاصة بدوية وليس خاصة قبطية بها الوسطى ي فهو – مرة أخرى – خاصة بدوية وليس خاصة قبطية بها وسائل الموسة بدوية وليس خاصة قبطية بها وسائل الموسة بي فهو – مرة أخرى – خاصة بدوية وليس خاصة قبطية بها وسائل الموسة به وسائل بدوية وليس خاصة قبطية بها وسائل الموسة به بدوية وليس خاصة قبطية بها وسائل الموسة به الموسة به وسائل الموسة و الموسة به وسائل الموسة به وسائل الموسة به وسائل الموسة و الموسة الموسة و الموسة الموسة و الموسة و الموسة الموسة و الموسة الموسة و الموس

وقيل إن نظام أصوات العلة الإضافية المستعملة فى عربية مصر اليوم إنما هو نتيجة لنفوذ اللغة القبطية ، فقد حدث نتيجة لغنى التعبرات القبطية بأصوات

⁽۱) صبحی : Common Words حر ۲۲

⁽٢) صبحي : قواعد المنة المصرية القبطية صي ١٩ .

العلة – ولا سيما الآخيرة – أن أصبح المصريون حين يتكلمون العربية يدخلون في كلامهم أصوات علة مساعدة أو مختلسة في حالة اجماع عدد من حروف السواكن وذلك في جملة مثل شغل مين دا ؟ التي تنطق؟ Shughl (i) min da (i) وفي رأينا أن هذا التفسير لهذه الظاهرة خاطئ فإن ما حدث كان مجرد جلب حركة صغيرة أو نصف حركة للتخلص من انتقاء السواكن نتيجة لإلغاء ظاهرة الإعراب في لغة الحديث . أو بعبارة أخرى للتحلص من وقوع المقطع سرع سرس (٢) وسطاحيث إن وقوعه مقيد بكونه المقطع الأخير (٢) . وبذلك تحولت الجملة من سرع سرس مرس عرس مرس عرس مرس عرس مرس عرب المرابق في ذلك سرع عرب مرابع عرب المرابق في ذلك مرابع عرب المرابع عرب المربع عرب المرابع في ذلك مرابع عرب المرابع في ذلك المرابع عرب المرابع العربية .

وهناك أمثلة أخرى يحتمل اشتمالها على نماذج للتأثير الصوتى للغة القبطية على عربية مصر قد حددت بعد دراسة مقارنة لأصوات اللغة القبطية والعربية الفصحى والمصرية الدارجة . وقد وجد أن من الخصائص الصوتية التي توجد في القبطية والمصرية الدارجة دون العربية الفصحى ما يأتى :

- (أ) استعمال الفونيم (:) ١٠ = پ .
 - (ب) تسهيل صوت العنن .
 - (ج) عدم وجود الصوت ث (١٠).

^{. 147 -} Prince (1)

[.] Vowel === 2 Consonant (Y)

⁽۳) انظر Mitchell فی : Prominence صے ۳۱۱ ، ۳۷۹ ، ر د . أبوب فی النظور المنوی می ۱۹ .

^(؛) كمة فونيم Phoneme مصطلح يراد به الوحدة الصوئية المستفنة التي قد تضم صوتاً واحداً أو عدة أصوات متشابهة بتوقف استعال كل مايا في الغالب على موقعه في الكلمة وعلى الاصوات المحاورة اله .

⁽ه) بشاى : Notes وصبحى : قو عد اللغة المصرية صر ١٠٠ .

ولكن الظاهرة الأولى ليس مردها اللغة القبطية بدليل اختفاء التفريق بين الرمزين ب و ب في القبطية ونطقهما كما تنطق الباء العربية في الهيرو غليفية والديموتيقية أى قبل تكوين اللغة القبطية (١). ولهذا فنحن نرى أنها ظاهرة حديثة النشأة، ولم تكن موجودة في الفترة التي ندرسها وأنها دخلت عربية مصر مع النفوذ الأوربي الحديث.

وأما الظاهرة الثانية فنرى أنها – من ناحية – تطور حديث يلى فترة الصراع بن القبطية والعربية ، ومن ناحية أخرى أنها نتيجة التسهيل بإبدال الصوت الساكن الحاتى إلى صوت لين مماثل أ. أما أنها تطور حديث فاغيابها فى جميع وثائق البردى الني بين أيدينا . وعلى ما حققه البروفسر جروهمان فإنالصيغة العددية الني كانت مستعملة فى الوثائق هى حد عشر وخمستعشر وستعشر (٢).. وأما أنها نتيجة النسهيل إلى صوت لين مماثل فإن من الثابت صوتياً وجود علاقة بين صوت الحلق والفتحة . وفى ذلك يقول الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس : ه إن أصوات الحلق تناسب فى الغالب وضعاً خاصاً للسان يتفق مع ما نعرفه من وضعه فى الفتحة (٢) ه . وما الألف فى حداشر وخمستاشر إلا فتحة طويلة . ويفسر الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أيوب هذه الظاهرة قائلا : ه أما العين فالظاهر أن المصرية تميل إلى التخفيف من درجة احتكاكها وذلك بمعل فتحة محرجها فى الحنجرة أكثر رخاوة واتساعاً . وتكاد تكون العين بمعل فتحة محرجها فى الحنجرة أكثر رخاوة واتساعاً . وتكاد تكون العين

وأما اختفاء الصوتث من لغة الحديث فواضح – من وثائق البردى – أنه موغل في القدم ، وأته تحول تم في القرون الأولى . ومع ذلك فلم يكن

⁽١) صبحي : قواعد المُغة المُصرية ص ١٨ ، و Common Words ص ٢٣ .

^{. 4;} From the World (r)

⁽٣) من 'سرار اللغة ص ٣٣ .

^(؛) التعلور اللغوى ص ٧١ .

نتيجة تأثير قبطى وإنما نتيجة التحفف من الأصوات العسيرة في النطق كما حدث بالنسبة للصوت ظ الذي حل محله ض في مثل « احفض » (وثيقة مؤرخة النسبة للصوت ظ الذي حارت دونحو ذلك ، أو هو لهجة عربية كما سنتحدث فها بعد .

على أن وجود الصوت ث أو عدم وجوده فى اللغة المصرية القديمة أمر مختلف فيه . فقد أثبته البر فسر Plumley كصوت مستعمل فى اللهجة القبطية الصعيدية حين ذكر أن الرمز به ينطق اله فى حين أن الدكتور جورجى صبحى لم يثبته من بين أصوات القبطية حين دكر أن هذا الرمز ينطق إما تاه أو طاء .

والنتيجة الني ننتهي إليها هي أن تأثير اللغة القبطية على عربية مصر في مجال الأصوات معدوم تماماً في لهجة القاهرة ، وإن كنا لا ننكر احتمال وجو د بعض الناثر ات في نطق أبناء الصعيد مخاصة ولكن بدرجة محدودة جداً .

ومن المناسب أن نشير في ختام هذا الحديث إلى حقيقة هامة تتعلق بالمخطوطة العربية التي كتبت بحروف قبطية . فقد كنا نتوقع أن يظهر فيها تأثير الأبجدية القبطية على الأصوات العربية بأن تختلي الأصوات العربية التي لا يمكن تمثيلها برموز قبطية ، ولكن لم محدث هذا ، إذ رأى الكاتب أن بمثل الصوت العربي برمز قبطي عثل أقرب الأصوات إليه ، ثم يضع الرمز العربي أو جزء منه فوق الرمز القبطي . فعل ذلك مع صوت القاف إذ كتبه لا ووضع فوقه الرمز في . وفعل ذلك مع أصوات الحلق الثلاثة الهاء والحاء والعين فكان عثلها بالرمز القبطي ع . ثم للتعبير عن الهاء يدعه كما هو . وللتعبير عن الحاء يضع الرمز ح فوقه وللتعبير عن العن يضع الرمز ع (رأس عيز) فوقه ...

(ب) التأثير النحوى والصرفي(١)

لا يوجد نفوذ قبطى على جانبى النحو والصرف فى لغة الكتابة بشقيها ، ونعنى بالنفوذ القبطى انتقال قاعدة نحوية أو نظام صرفى معين إلى لغة الكتابة العربية . وقبول الكتاب لهذا التعبير الجديد واعتباره الأصل والقاعدة . وكل ما نجده - نتيجة لاختلاف نظام الجملة وقواعد النحو بين اللغتين - أخطاء كثيرة فى بعض المخطوطات العربية القبطية يرجع معظمها إلى البرجمة الحرفية من القبطية على أيدى أناس لا بجيدون اللغة العربية . وأبرز خطأ ظهر فى هذه الخطوطات تذكير الكلمات وتأنيثها . فقد عولجت بعض الكلمات المذكرة على المخطوطات تذكير الكلمات وتأنيثها . فقد عولجت بعض الكلمات المذكرة على كلمة الأرص الني هي مؤنثة فى العربية ومذكرة فى القبطية . وقد عوملت كلمة الأرص الني هي مؤنثة فى العربية التي كتبها مؤلفون أقباط . ويوجد معاملة المذكر فى بعض المخطوطات العربية التي كتبها مؤلفون أقباط . ويوجد كذلك كلمنان فى القبطية للتعبير عن و الليلة ، واحدة مذكرة والأخرى مؤنثة . ولكنا نجد الكلمة العربية ، الليلة ، تعامل معاملة المذكر فى بعض المخطوطات القبطية المذكرة . ومن أبرز الأخطاء كذلك استعمال المفرد بدل الجمع فى تمييز العدد فى نحو تسعة دينار (بدلا من كذلك استعمال المفرد بدل الجمع فى تمييز العدد فى نحو تسعة دينار (بدلا من

⁽۱) استارة الظواهر النموية قضية خلافية بين المجائين من المنويين ، فينكو المتواهد مكان هذا و بقول ، أم بنعر نب داوسو المغات قط على تقك اللغة التي تنفسان مزيجا من القواهد النمرية ، وثبنا هذه اللغة بالنسبة لم محلو قا عجبا ، بل هي أحد المستحيلات » ، وينادي بن المي أو لهري بنفس الرأى إذ يقول : و الاتوجه الغة بقواعه نحوية مختلطة «أما يسبر سن ذري أن في هذا القول ثبت من المغالاة والإسراف ، ويضرب عدة أمثلة على تأثير اللغات بعضها ببعض في هذه الناحية ، و مما إلغارسية حين استعارت المعارسية طريقة الجسم العربية و جسمت عليها بعض الكلهات القارسة ، هذا إلى أن نظام الجملة في العصر الحديث قد تأثير إلى حد ما بيعض الإساليب الأجنبية ، و الاسبا في أطوب الكتاب لما معرب الذين الربا بالنقافة الأوربية (انظر على وجه الحصوص » من أسرار اللغة » ص ع ه و ما يعلما) .

دمانير (وأربعة ألف) بدلا من (أربعة آلاف) . (مرادكامل :حضارة مصر ص ٧١) . ولكن مرة أخرى - لا يعد هذا وخوه نفوذاً قبطياً إذ ظل انتاس بنظرون إليه على أنه لحن أو خطأ . ولم يكتب له حف الفبول والشيوع بين عامة الكتاب . نعم هناك أمثلة كثيرة في لغة الكتابة يتضح فيها أثر الأجنبي في استعمال اللغة ولكنها كالها يمكن أن ترد إلى عامل الميل الطبيعي إلى التيسير الذي سنتحدث عنه فها بعد. وليس فيها أي أثر لنفوذ قبضي خاصة.

أما فى لغة الحديث فرنماكان الأمر على خلاف ذلك . و هناك – على الأقل – ادعاءات بوجود هدا النفوذ . و سنحاول الآن أن نستعرض الحصائص الغريبة التى تبدو فى عربية مصر لثرى هل تعكس نفوذاً قبطياً أولا :

- (أ) استعمال . ما «كابقة prefix تفيد الأمر مثل: ما تكتب (اكتب).
- (ب) استعمال " أ " بالإضافة إلى صدير الشخص كسابقة مع الفعل الماضي مثل : أهو سمع .
- (ج) استعمال اسم الإشارة « دا » فى وظيفة معينة فى الجمل غير الفعلية مثل : دا أنا الملك .
 - (د) تأخير أداة الاستفهام إذا كانت معمولا مثل : رحت فين ؟
- (ه) استعمال الصفة متبوعة بحرف الحراعن الله المن صيغة التفضيل العربية العادية مثل : هو كبر عنى في مقابل هو أكبر منى .
- (و) الغاء صمير المثنى واستعمال ضمير الحمع المثنى والحمع كلبهما مثل: الولدين رجعوا .
 - (ز) حدّف حرف العطف في العدد مثل مية خمسة وعشرين بدلا من مائة وخمسة وعشرون .
- (ح) تأخير اسم الإشارة عن المشار إليه مثل : انواد ده في مقابل : هذا الولد.

أما الظاهرة الأولى فقد ذكرها الدكتور و بشائ ، دون أن يقدم لنا الدلبل أو ما يشبه الدليل على النفوذ القبطي . ولا يكفي في نظرنا أن نجد ظاهرة غريبة في عربية مصر لنسارع فننسبها إنى النقوذ القبطي . وأى قبطية في ٥ ما ٥ ٪ وأى قبطية في و تكتب و؟ أما التركيب نفسه فيبدو أنه هو هو التركيب العربي المكون من وما لا النافية والفعل المضارع . ويكون النفي قد خرج هنا عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر هو الاستنكار أو التوبيخ المدلول عليه بالتنغم المعين للجملة . فكأن الحملة تعنى : لماذا لا تكتب ؛ ومفهوم هذا طلب الكتابة . وهو ما يؤديه التركيب ، ما تكتب ، . ور بماكان أقرب إلى القبول أن نقول إن " ما « أداة استفتاح و هي « أما » . ولكن على عادة السرعة والاختصار في الكلام قالوا وما تكتب وور مما زاد الاختصار عن ذلك فقيل و متكتب ٥. وحتى على فرض جهلنا بأصله العربي فليسمعني ذلك الحكم نقبطينه . وما أكثر ما احتوت اللغة العربية على لهجات قدتمة عرفنا أقلها وجهلنا معظمها . وما أكثر ما أغفل القدماء تسجيل اللهجات العربية لسبب أو لآخر . وقد كان كثير من هذه القبائل المتروكة لهجانها من بن القبائل التي هاجرت إلى مصر واستوطنتها كما سنفصل الحديث فها بعد .

وأما الظاهرة الثانية فقد ذكر هاكذلك الدكتور «بشاى » وهى – فى رأينا– كسابقتها تنطق بعربيتها .

و أما الظاهرة الثالثة فقد ذكرها الدكتور " بشاى " ومن قبله " ليتمال " .
والتعبير في رأينا تبدو فيه الروح العربية الصرفة . إنه يبدو وكأنه صورة أخرى
للتعبير " إنه أنا الله " الموجود في الفرآن الكريم . فكأن « دا " هنا حلت محل
" إن " و و ضمير الشأن " . وكأن القائل « دا أنا الملك " يعني ما يعنيه
قائل التعبير العربي : و إنه أنا الملك " . ثم لا معني نقول بشاى إن هذا النعبير
يستعمل في الحمل غير الفعلية ، فهو موجود في الفعلية كذلك . فكلنا نقول :

دا أنا قمت ، دا أناكتبت الخ . وهذا التعبير – بعد هذا – موجود – كما حقق دى لاسى أو لـرى – في عربية سو رية وفي اللغة الملطبة وغير هما .

أما الظاهرة الرابعة فقد كثر القيل والقال فيها واعتبرها الذكتور أم بشاى المتغير أجوهريا في اللغة المصرية الدارجة نتيجة نفود قبطى . وقد سبقه إلى هذا الرأى Stern وفي رأينا أن الباحثين الثلاثة لم يحالفهم التوفيق وأن القضية كالآتي :

۱ – أن هذه الظاهرة موجودة فى عربية سورية ، فهم يقولون الكتاب
 منن ؟

۲ - هناك أمثلة وردت لهذا التأخير في العربية الفصحى . وإذا كان النحاة قد أولوها بما سموه بالتعليق وهو إبطال عمل العامل لفظاً لا تقديراً فهذا لا ينفي وجود الاستعمال .

٣ - أن تأخير أداة الاستفهام ليس القاعدة في القبطية ، فقد ورد في المقدمة المسهاة بالكفاية في نحو اللغة القبطية للتبخ الوجيه القلبوبي (وهي من كتب القواعد القبطية المعتمدة ومؤلفها من أوائل من كتبوا في نحو القبطية ، وهو من علماء القرن النالث عشر الميلادي) أن « أين » تقع قبل الكلام وبعده (ص ٣٥) وأن « مني » لا تأتي إلا مع فعل قبلها أو بعدها (عم ٣٦) . كما ذكر أحكام « من » إذا تلتها نكرة أو معرفة (ص ٣٤) و ذكر أن «كبف» كما ذكر أحكام « من » إذا تلتها نكرة أو معرفة (ص ٣٤) و ذكر أن «كبف» عسن أن يقع بعدها فعل (ص ٣٥) ، و ذكر الدكتور عبد المحسن بكير في كتابه « قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي » أن « من » و « ما » لهما الصدارة (ص ٣٧ و ٣٨) .

إن القاعدة في العامية المصرية ليست تأخير أداة الاستفهام ، فنحن نقول : فين أخوك ؟ وأخوك فين ؟ كما نقول : منين جبت ؟ وجبت منين؟.
 أن بعص الأمثلة التي تؤخر فيها الأداة مرجعه إعادة تنظيم الحملة وتغير هندستها نتيجة النخلص من الإعراب . وأضرب لذلك المثال الآتي :

لنأخذ الحملة الفصحى: قابل محمد علياً. عكننا أن نسأل عن المفعول فنقول: من قابل محمد ؟ وعن الفاعل فنقول من قابل علياً ؟ والفرق واضح بن الحملتين نظراً لوجود الإعراب. فإذا حولنا هاتين الحملتين إلى العامية المصرية فقلنا: مين قابل محمد ومين قابل على لم يكن هناك دليل على وظيفة كل كلمة فالحملة. ولهذا استعاضت العامية عن الإعراب بالموقعية فخصت مين قابل على ؟ حين تكون ، مين ، في موقع الفاعل و محمد قابل مين حين تكون ، مين ، في موقع الفاعل و محمد قابل مين حين تكون ، مين ، في موقع الفاعل و عمد قابل النفوذ القبطى في هذه الظاهرة.

أما الظاهرة الحامسة فقد أشار إليها و لينهان و واعتبرها نتيجة نفوذ قبطى . وأشار إليها و لكنه تشكك في كونها نتيجة نفوذ قبطى . وأشار إليها و بشاى و ولكنه تشكك في كونها نتيجة نفوذ قبطى . ومن المعروف أن اللغة المصرية القديمة ليس فبها صيغة خاصة بالتفضيل النسبي أوالتفضيل المطلق . ويعبر عن التفضيل النسبي نحرف الحر الذي يسبق الاسم المفضل عليه (١) .

ولكن مرة أخرى ليس هناك أى دليل قد يشتم منه إرجاع هذه الظاهرة في العامية المصرية إلى أصل قبطي . والأمر في رأينا يحتاج إلى التفصيل الآتي :

ا - تعر العامية المصرية عن التفضيل بوسيلتين ، هما : أفعل + من ، أو الصفة + عن . ويبدو أن الانجاه أول الأمر كان نحو إيثار الصبغة الأولى . كما يبدو من مخطوطات القرن الرابع عشر المكتوبة محروف قبطية حيث جاء فيها ، صار أردا من الكل ، ثم تحول الانجاه رويداً رويداً إلى الصيغة الثانية . ولا عكننا أن نقطع برأى حول أسما أكثر شيوعاً في الاستعمال الحديث . فإنه يفهم من كلام دى لاسى أولرى أن الصيغة الثانية أكثر شيوعاً ، ويفهم من كلام الصيغة الأولى أكثر شيوعاً .

⁽١) دكتور بكير : تواعد اللغة المصرية من ٠ ؛ و ١ ؛ .

٢ -- استعمال الصفة + عن له نظير في اللغة العبرية . تلك اللغة الني تكشف أحياناً عن خصائص تتفق مع اللغة العربية المصرية الدارجة . ومن أجل هذا افترض دى لاسى أو لبرى أن صيغة و أفعل من و قد تكون أحدث في الاستعمال من الصفة + عن . ومعنى هذا أن التعبر الثاني كان مستعملاتي القديم . وظل عتفظاً به في العبرية . كما احتفظت به بعض اللهجات العربية . واستمر في شكل بقايا في اللهجات العربية الحديثة .

تكر اللكتور عبد المحسن بكير أن هذا الاستعمال مطرد كذلك
 ألسريانية والأكادية وكالاهما سامى .

ذكر دى لاسى أولبرى أن استعمالا مماثلا موجود فى فحجات أخرى حيث لا يوجد نفوذ قبطى فى مراكش يستعملون الصفة + على ، وفى أعمان بستعملون أفعل + عن .

وأما الظاهرة السادسة فلم يشر إليها أحد . ولكنها قد ترد على البال نتيجة لما نعرفه عن اللغة القبطية من استعمافا ضميراً واحداً للمثنى والحمع (١) ولكن هذه الظاهرة هي الأخرى عربية أصيلة . واستخدام ضمير الحمع للمثنى معروف عند العرب قدعاً . وورد في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : هذان خصمان اختصموا .

و أما الظاهرة السابعة فقد لفت نظرى إليها ما وجدته فى أور اق البر دى من حذف واو العطف فى جملة نحو ، مئة ستة وأربعين درهم ، مع ما ذكر ه الدكتور عبد المحسن بكير من أنه لا توجد أداة عطف فى اللغة المصرية القديمة. بل تأتى الكلمات المعطوفة بعضها يتلو البعض الآخر (ص ١٧) . ولكن يغلب على الظن أن هذا الحذف كان بقصد التخفف من تكرار الواوات وأن هدفه هو النيسر وتوفر الحهد .

⁽١) المقدمة لمقلبوني من ٢٩ و٢٠ ، ومفدمة ابن الدهيري من ٩٣ .

وأما الظاهرة الثامنة ، فقد لفت النظر إليها أنها خاصة من خصائص المصرية العربية من بن سائر اللهجات كما صرح دى لاسى أولرى . ولا مكن أخذ أى نتيجة من الصيغة و دا و لأنها موجودة في و عمان و شمالي إفريقية (ما عدا تونس) وغيرها . وقد صرح سيبويه نفسه بأن الهاء ليست جزءاً من اسم الإشارة وأنها حرف تنبيه . ولكن موقع اسم الإشارة هو المهم في هذا المقام . فمن المعروف أن المصرية القديمة تضع اسم الإشارة بعد الاسم (١) (أما في القبطية فاسم الإشارة يسبق الاسم) ، فهل أثر هذا على وضمه في عامية مصر ؛ مع وجود هذا الاحتمال فإننا نرى أن هذا تطور داخلي بحت لا أثر فيه للعامل الحارجي أو الأجنبي . وقد ذكر الدكتور عبد المجيد عابدين أن اسم الإشارة بأتى للتبعية الوصفية بعد المشار إليه في لهجة السو دان كذلك ، فيقال : الراجل دا . وقد يتقدم على المشار إليه . ومن الأمثلة التي احتفظت فيها عامية مصر بموضع اسم الإشارة قبل المشار إليه قولهم : و دلوقت و التي تتركب من اسم الإشارة +كلمة الوقت. وفي رأى أن وضع اسم الإشارة بعد المشار إليه قصد به النيسر وتجنب التشعيبات الموجودة في اللغة الفصحي . انظر مثلا الحملة : أخوك هذا ... في الفصحي حيث لا يصح أن يتقدم اسم الإشارة فيها فيقال هذا أخوك ... ، والحملة هذا الأخ ... حيث يتقدم اسم الإشارة . أما في العامية فيقال فيهما كليهما : أخوك ده ... والأخ ده ... بتوحيد مكان اسم الإشارة بدون نظر إلى نوع المشار إليه.

ونخلص من كل هذا إلى أنه ليس هناك دليل أو شبه دليل على وجود أثر قبطى فى مسائل النحو والصرف . وكل ما هنالك قد يكون بجر د شبهات أو احمالات ليس جانب الإنجاب فيها أقوى من جانب السلب .

⁽۱) دی لاسی Notes سن ۲۵۳.

(ج) التأثير في مجال المفردات

لا يستطبع أحد أن ينكر أثر القبطية على عربية مصر فى عجال المفردات . ولكن شقة الخلاف واسعة بين الدارسين حول تقدير مداه . وفى رأينا أنه ينبغى أن بفحص على حدة كل مستوى من مستويات اللغة الثلاثة الى سق أن أشرنا إليها . لأن آثار هذا العامل تختلف من مستوى إلى مستوى .

فإذا نظرنا إلى المستوى الأول. وهو المستوى الأدبى وجدنا أثر هذا العامل ضعيفاً جداً لا يتجاوز بصع كلمات دخلت لغة الكتابة. وأصبحت تردد في أساليب المثقفين والمتخصصين. وقد حالف الحظ بعض هذه الكلمات فاقتحست اللغة الفصحى المشتركة ولم تعدينظر إليها على أنها خاصة مصرية أو لفظة علية. ومن أمثلة ذلك:

١- كلمة " تليس " التي تعني زكيبة أو كيساكبراً . وقد وردت في كتاب المكافأة الابن الداية . ويبدو أن هذه الكلمة قدأصابها التعريب فاعتبرت عربية . بدليل أننا لا تجد إشارة إلى أصلها القبطي في كتب اللغة . وقد فسرها ابن منظور تفسيراً عقلفاً إذ قال في لسال العرب : " التلبسة وعاء يسوى من الحوص شبه قدهة وهي شبه العيبة التي تكون عند العصارين السلام وقد أشار إلى الأصل القبطي لحذه الكلمة العلامة القبطي أقلو ديوس لبيب في كتابه الي الأصل القبطي لحذه الكلمة العلامة القبطي أقلو ديوس لبيب في كتابه بالمجموعة الألفاظ القبطية المنداولة باللهجة العربية العامية الدواليحائة القبطي وتعتوى على الذي عشرة كيلة وصارت الآن اسها عاماً للزكيبة . كما ذكرها الكتور صبحي في كتابه

Common Words in the spoken Arabic of Egypt of Greek or Coptic Origin.

٢ - كلمة ، طوبة ، التي استعملها عمر بن الخطاب في قوله ، ولاتدخلن القبر خشبة ولا طوبة ، . واضطربت المعاجم العربية في بيان أصلها الأجنبي . فقبل هي شامبة وقبل رومية وقبل إنها جاءت بلغة أهل مصر . وقد ذكر

ابن منظور كذلك أن الشافعي قد استعملها . وكلنا نعرف أن الشافعي أمضي فرّة طوبلة من عمره في مصر وألف بها بعض كنه . أو أعاد كنابتها . وقد ذكر أصلها القبطي الدكتور جورجي صبحي .

٣ ـ هذا بالإضافة إلى أمها، الأعلام على اختلاف أنواعها .

أما المستوى الثانى وهو مستوى الكتابة لغير المتخصص أو المستوى نصف الأدنى فنردد فيه بكترة نسبية الألفاظ الأجنبية ذات الأصل القبطى . وأحياناً البونانى أو اللاتبيى . وسب ذلك واضح . وهو أن معظم صغار الموظفن فى تلك الفرة و و نخاصة فى جزئها المبكر - كانوا خملون أمها، فبطية مثل مينا بن شنودة وسويرس بن ذكريا . مما بعنى أنهم لم يكونو مسلمين . وأنهم من نلك الفئة التي تعلمت اللغة العربية لتحتفظ بمناصبها أو لننفتح أمامها أبواب الرزق . ومعنى هذا أن لغتهم العربية ليست خالصة . وأن معجمهم اللغوى ولا شك متأثر بلغتهم الأصلية . ا

وإن نفود اللغة القبطية في هذا المستوى قد بدا في شكل الاحتفاظ بأمها، الشهور القبطية حتى ولو كان العام مكتوباً بالناريخ الهجرى مثل ، هاتور من عدد القبط سنة ٢٧٣ هجرية ، . و ، نوت من سنة ٢٣٣ هجرية ، . و ومن الطريف أثنا جد بعض الناس – في ذلك الوقت – خملون اسدن أحدهما عربي والآخر قبطي مثل ، أنها اعتقت صفراه بالعربية ، واسمها بالقبطية دجاشة ابنة أرينة ، . ومن الكلمات القبطية التي وردت في وثائق البردي :

- ١ كلمة ، بقط ، بمعنى عقد إنجار .
- ٢ وكالمة ، حالوم ، نوع معين من الحين .
- ٣ هذا إنى جانب أسهاء الأعلام تمحتلف أنواعها .

أما المستوى الثالث وهو مستوى الحطاب أو لغة الحديث العادى . فعلى الرغم ثما يتوقع من قوة النفوذ القبطى عليه فإن النتائج النهائية تقفىى بغير ذلك . نعم إن نفوذ الفبطية في هذا المستوى أكثر منه بكثير في المستوين السابقين . ولكنه - مع ذلك عدود . وكثير من آثاره محصور في مناطق ضيقة أو أماكن نائية . وخاصة في الصعيد . ولذا فهي عبر معروفة لكثير من المصريين . وإذا نحن قمنا بتصنيف خذه الكلمات الأجنبية التي يرجع كثير منها إلى أصل قبطي وجدنا معظمها بندوج تحت الرعوس الآتية :

ا - كلمات خاصة بالكنيسة وبالطقوس الدينية وحياة الرهبنة مثل أنبا وأسقف وبطريق وبطريرك وأبرشية (ولاية الأسقف ورعينه). ولكن معظم كلمات هذا النوع مقرض من اليونانية. ولا يمكننا أن نقطع أكان انتقال هذه الكلمات إلى الافة العربية تم في مصر أم في سورية.

۲ – كلمات تدل على أنواع من الطعام عبر معروفة عند العرب مثل المسادة الله للدلالة على الطبق الشعبى المعروف . وهي في القبطية مركبة من كلمتين . ومعناها الفول المصرى المطبوخ . وفول ، مدمس الدا نحن قبلنا أن أصلها قبطى . وعيش ، بتاو ، وجبنة ، حالوم ...

٣ - أسماء لأنواع من السمك أو الحيوانات المصربة مثل ، ملوحة ».
 و ، بورى » ، و » شلبة » ، و » أنومة » ، و » تمساح » ، و » بس »
 المستعملة لزجر القطة ومعناها في المصرية القديمة القط .

٤ - أسماء نباتات أو آنية أو مكاييل معينة كانت مستعملة في مصر مثل
 ۵ برسيم ۱ ، و ۵ سريس ۰ ، و ۵ شكوريا ۵ ، و ۵ سنط ۵ ، و ۵ بلح
 أمهات ۱ ، و و بلاص ۲ ، و ۵ ماجور ۲ ، و ۵ إردب ۵ ، و ۵ ويبة ۱ .

و ، متر د ، للوعاء الذي يوضع فيه الذبن وقت حليبه . ومعناه بالقبطية محل الدين (١) .

اسماء أمراض أو وصفات بلدية مثل كلمة ، شوطة ، ١٠ الني تستعمل للدلالة على الورم نستعمل للدلالة على الورم الصغير الذي إذا قطع أدمى ثم نما ثانية ، وكلمة ، واوا ، التي تستعمل مع الأطفال للدلالة على ألم أو جرح أو حرق .

 اسماء الأعلام مثل الشهور القبطية الشائع استعمالها حتى الآن فى القرى المصرية . وأسماء البلاد مثل صهرجت . وسنهور ، وسنجرج ، وصفط . وأرمنت ، وسمنود ... الخ .

وأساء الأعلام كثيرة جداً، وإن كان من الصعب أن نعدها من الكلمات المقرضة أو ننسبها إلى لهجة عربية معبنة . نعم هناك أساء عامة مدرجة ضمن بعض أساء المكان . وما زانت مستعملة في عربية مصر مثل كلمة ، باب ، التي تعنى مقبرة (ولا علاقة لها بالكلمة العربية باب) . ولا زال المصريون يطلقون اسم ، باب الملوك ، على إحدى مقابر الملوك عند ، طيبة ، ولكن حتى هذه من الصعب عدها كلمة مقرضة لأنها لم تعمم في الاستعمال ، ولم نصبح في عرف الناس مرادفة لكلمة ، مقرة ، ولا شك أن جمهور المنكلمين لا يفطنون إلى معناها القديم في القبطية .

وهناك عدد آخر من الكلمات الشائعة في عامية مصر ولها أصل قبطي مثل « سيجه ، للعبة الشعبية المعروفة ، و « ياباي ، التي يستعملها الأطفال بخاصة

 ⁽١) الامكننا أن نجزم بالأصل القبطى لهذه الكلمه ، إذ هاك الديال كبير أن تكون الكنمة عربية على ماستفسره فيها بعد .

 ⁽٢) قد نقال بعر به عدد الكفية و أنها من ما الإشاعة، بمعنى الإعلان و الاحتراق ، و أن أصلها و شيطة و تم حرفت إلى و شوطة و .

حينا يرون ما يفزعهم ، ومعناها الحرق في القبطية ، بومة ، أو ، غراب الليل ، ، و ، لبشة (١) ، قصب ، و ، بخ ، حينا يريدون نخويف شخص ومعناها في القبطية ، الشيطان ، : و ، تف ، عمنى بصق (١) ، وفجل ، ورور ، ، وطلع ، بوش ، ، (١) و ، بح ، (١) بمعنى انتهى . و ، عمة (١) ، و ، امبو ، في لغة الأطفال ، و ، جاى ، في الاستغاثة أو الشكوى .

وموضوع تبادل المفردات بن اللغات أكثر مستوبات اللغة شيوعاً . لأنه يتصل بتبار الثقافة والعادات أكثر من اتصاله بأصل اللغة وجوهرها . وكم من لغة عاشت وتعبش عفردات أجنبة ومع ذلك تظل محتفظة بجنسها المميز ، مثل ، الأردية ، التي اشتقت مفردات كثيرة من العربية وانفارسية ، واكنها قطعاً لمجة من اللغة الهندية ، ومثل اللغة المالطية التي تعرضت لنأثير إبطالي قوى في مفرداتها ، ولكنها ما تزال ينظر إليها على أنها لهجة عربية .

ونحب قبل أن نختم هذا الفصل ، أن نتعرض بشي ممن التفصيل للدعوى العريضة التي يكثر الدارسون الأقباط من ترديدها ، وهي إقراض القبطية عربية مصر بأمداد ضخمة من المفردات . ونقتبس أولا ما قاله الدكتور

 ⁽۱) من المستبعد أن تكون الكلمة عربية و أن تكون كما يرى بعصهم مأخوذة من مادة
 ابك و من توطيم رأيت لباكة من الناس أن لببيكة، يمعنى جهامة نمأبدات الكاف شيئا للخفة .

 ⁽۳) ربما كان الأنرب إلى الصواب القول بأن الكلمة ترجم إلى أصل فارسي أو تركى .
 لأن ، تف ، و ، نفو ، كلمة تركية و فارسية بمعنى لعاب أو ريق . , و ربما كان أصلها سريانيا.

⁽٢) ترجه في الفارسية كلمة يا بوج يا ومعناها فارغ أو عال أو أجوف . ولعل الكلمة العربية مأخوذة من هذا الأصل الفارسي .

⁽¹⁾ ى السريانية توجه كلمة ، بح ، بعنى نخر أو جف أو ذبل فمن المحتمل أن نكون ، بح، العربية لها أصل سرياني . و هناك استمال آخر أن تكون الكلمة عربية كا سنفصل فيها بعد .

⁽a) هناك احتال قوى أن أصل هذه الكلمة تركى . في التركية يقال للأطفال ۽ ممة « وسمناها اللهي . و ريما كانت الكلمة حكاية صوت حركة الغم عند الأكل .

جورجى صبحى فى هذا الخصوص من مثل: , بفحص المفردات المستعملة فى عامية مصر يذهل الشخص لأكتشافه عدداً كبيراً من الكلمات التى يمكن بسهولة أن ترد إلى أصل مصرى قديم أو قبطى « . و بعد أن ذكر قائمة طويلة من هذه الكلمات عقب بقوله « وهناك مئات أخرى من الكلمات الشائعة فى هجة مصر التى لا تفهم فى سائر البلاد العربية ولم ترد فى المعاجم الكلاسيكية « . فهل هذا صحيح حقاً ؛ وهل عامية مصر متأثرة بالمفردات القبطية إلى هذا الحد الكبر ؛ وهل الدكتور صبحى – وغيره – على حق فى القوائم الطويلة التى ذكروها هذا الحصوص ؛ دعنا أو لا نلتى نظرة فاحصة عليها ، ونبين رأينا فى بعض مفردا الم الفظاً قبل أن تصدر حكمنا العام فى الموضوع . تنضمن قوائم الكلمات :

١ ــ لبؤة : والكلمة ومادتها موجودتان فى المعاجم العربية ،و ليسى
 فيها إشارة إلى أصلها الأجنبى .

۲ – مصطبة: والكلمة عربية صرف. قال الأزهرى: سمعت أعرابياً من بنى فزارة بقول خادم له: ألا وارفع لى عن صعيد الأرض مصطبة أبيت عليها بالليل. فرفع له من سهلة شبه ذكان مربع: قدر ذراع من الأرض: يتى بها من الحوام بالليل. قال وسمعت آخر من بنى حنظلة سهاها المصطفة بالفاء.

٣ – عزّبة: والكلمة كذلك عربية خمآ و دما. وهي وإن لم نر د بنصها في كتب اللغة فقد وردت مادّمها وهي تدور حول الزرع والكلأ والرعى . ومما جاء في لسان العرب: أرض عزوبة بعيدة المرعى – العازب من الكلأ البعيد المطلب – المعرّب طالب الكلأ – كلا عازب لم يسرع قط . أعزب الغيم إذا أصابوا كلا عازباً – أعزب إبله وعزّب إبله بيتها في المرعى .

و هكذا تبدو من الاستعمالات المختلفة لهذه المادة عربية الكلمة ، عزبة ، . و حتى استعمالها في معنى قريب جداً ثما ورد في المعاجم . ٤ — فتفت: وفى اللسان: فت الشيء دقه وقبل كسره بأصابعه. والفت أن تأخذ الشيء بإصبعك فتصيره فناتا أى دقاقا. وكل ما فى الأمر استعمال صيغة مضعف الرباعى بدلا من مضعف الثلاثى . وتلك ظاهرة شائعة فى عامية مصر للدلالة على المبالغة واستعمال الحيلة كقولهم دقدق ، وبصبص ، وشمشم ... النخ .

صیت : والکلمة عربیة وردت فی شعر لبید (۱) وفی الحدیث النبوی الشریف (۳) .

٦ ــ مدة: وفي اللسان: أمدالجرح صارت فيه مدة. والمدة ما بجتمع
 في الحرح من القبح.

۷ – (رجل) مهلئوس : والكلمة تحويف للفظ العربي متهلئوس
 من قولهم رجل مهلوس العقل أى مطوبه .

۸ - هـوش : وفى اللسان : الهـوشة الفتنة والهـيـج والاضطراب
 والهرج والاختلاط وكل شيء خلطته فقد هوشته .

۹ ــ شوط : الكلمة محرفة عن النطق العربى شوط . وقد رواه
 الأصمعي وورد في الحديث النبوى وفي حديث الطواف: رمل ثلاثة أشواط.

١٠ ــ رفّ (الحاجب) : وفى اللسان رفّ النبات اهنز . ورفت عينه ترفّ اختلجت ، وكذلك سائر الأعضاء .

۱۱ مخمخم (في وصف الشخص المزكوم): وفي اللسان: الحمخمة فرب من الأكل قبيح، والخمخمة مثل الخنخنة. ثم ذكر في مادة خنن: الخنين صوت مخرج من الأنف، وقال الجوهري هو كالبكاء في الأنف

⁽۱) وهو قوله : وكم مشتر من ماله حسن صينة لآبائه في كل مبدى و مخضر

⁽٢) و هو قوله صلى الله عليه و سلم : ما من دبد إلا له صيت في السماء .

أو الضحك في الأنف . وقال الفصيح من أعراب بني كلاب : الخنين سُدد في الخياشيم . والعلاقة واضحة بين المعنيين مما يجعلنا نقطع بعربية اللفظ .

17 – عَيلً : وفى اللسان : عبال الرجل وعبله الذين يتكفل بهم ، وقد يكون العبل واحداً عن كراع . ويبدو أن النطور الذى لحق هذه الكلمة على يد المصريين كان هو نقلها من صيغة الجمع إلى صيغة المفرد بدليل أن صاحب اللسان نقل هذا الاستعمال عن كراع وحده، وكراع من علماء اللغة المصريين كما سبق أن أشرنا .

۱۳ - مسخم : وفى كتب اللغة : السخمة : السواد ، والأسخم الأسود ، والسخام : السواد . والسخام : الفحم ، والسخام : السواد . ومنه قبل سخم الله وجهه أى سوده . وروى عن عمر فى شاهد الزور : يسخم وجهه أى يسود .

14 – و أوأ و و أم أوى، » : وهما – فى الحقيقة – تحريف للكلمتين العربيتين أوق وأم أويق . يقال : آق فلان علينا إذا أتانا بالأوْق وهو الشؤم . وسميت البومة و أم أويق » لنشاؤمهم منها .

10 -براً (كفوفم اخرج برا): والكلمة عربية صحيحة. فالبر نقيض الكن ، والعرب تستعمله في النكرة تقول: جلست برا، أو خرجت برا، إذا خرج إلى البر والصحراء. ولا يطعن في عربية الكلمة ما يقوله بعض اللغويين من أنها - في ذلك التعبير الخاص من كلام المولدين، ولم تسمع من فصحاء العرب بالبادية.

١٦ - نف و نفافة : وهي عربية مأخوذة من مادة ، النغف ، مع إبدال
 الغن فاء . والنغنف ما نخرجه الإنسان من مخاط من أنفه .

ولا نربد أن نحبر صفحات أكثر من هذا لإثبات عربية عشرات أخرى من الكلمات الى ادعى أصلها القبطى ، ولذا سنكتنى بالإشارة إلى عدد آخر منها وهو :

نَبَوت ــ معدیة ــ هر من خوفه ــ با مطرة راخی ــ دبش مهیاص ــ مکالکع ــ صُباع ــ عَف (الذباب) ــ کوع ــ سیف ــ قطف ــ کرم (عنب) ــ اربکة ــ تل ــ مرهادل ـ عنتیل ــ قُلة (ماه) ــ بنامنا ــ آفول مدنتوش ــ فاس ــ جحش ــ کوب ... الخ .

و هكذا بنضح أنكثيراً من الكلمات التي ذكروها عربي صرف . وبعضه معرب عن لغات أخرى . وتم تعريبه بعيداً عن مصر .

والخلاصة أن علمات اللغة القبطية من المفردات في عامية مصر محدودة جداً بعكس ماقد يظن . وقد عبر عن هذه الفكرة الدكتور بشاى حبن قال : و هذا ينتهى بنا إلى القول بأن الكلمات القبطية المشتركة الموجودة في المصرية الدارجة لا تزال قليلة العدد ، . فليس هناك مئات ومئات من الكلمات . وليس هناك دهول من كثرة عددها . وإنما هي عشر ات من الكلمات لا تتجاور عال من الأحوال المائة .

والنتيجة النهائية التي نستخلصها من كل هذا أن التأثير انقبطي على عربية مصر تأثير محدود جداً لا يكاد بتجاوز مجال المفردات. وحتى في هذا المحال فالآثار ضئيلة جداً على عكس ما يردده البعض. وليست هذه النتيجة بالأمر الشاذ أو المستغرب لدى دارسي اللغات ومراحل صراعها . وإنما هو شيء متوقع عكن التكهن به مسبقاً . وفي ذلك يقول بلومفيلد عالم اللغة الأمريكي المشهور : حن تنتصر لغة الغزاة وتندثر اللغة المغزوة لا نكاد نلحظ آثاراً في اللغة الغازية نتيجة لذلك الصراع إلا بعض انكلمات الحاصة بالبيئة الحديدة من أعلام أو أماء الأمكنة ، ومن ألفاظ تعبر عن أسياء تتميز بها هذه البيئة . وهذا ما حدث للغة الرومانية (١) .

⁽۱) انظر الداكتور إبراهم أنبس : من أمر او النفة من ۹۹ (طائانية) و Bloomfield في كتابه Language من ۲۹ د

الفصيل لراسع

المؤثرالثاني اللهجات العربية

جاء العرب إلى مصر فاتحن ثم مهاجرين . وكانوا مزيجا من عناصر شي . وقبائل متعددة . وحملت كل قبيلة معها لهجنها الحاصة التي تختلف قليلا عن أختها . واختلط كثير من هذه اللهجات . وانعزل بعضها مكونا جزراً لغوية . و نخاصة في الأماكن النائية من الصحراء أو الصعيد الأعلى . ونتج عن هذا – إلى جانب عوامل أخرى كثيرة - وجود اختلافات بين لهجات الأقاليم . واختصاص كل محافظة - ور تماكل قرية بسمات معينة . وغاصة في لغة الحديث .

وإنه لن المؤسف حقاً أن نقول إن اللهجات العربية القد بمة لم يسجل كثير من ساتها وخصائصها ، بل سجل القليل ، وهو ما دخل في نطاق اللغة والرواة الفصحى ، وترك الكثير وهو ما خرج عنها ، وقد قسم علماء اللغة والرواة القبائل العربية إلى قسم اهتموا بأحدهما وأهسلوا الآخر ، وبنوا فكرتهم على أساس البداوة والحضارة . فكلما كانت القبيلة بدوية أو أقرب لحياة البدو كانت لغتها أفصح ، والثقة فيها أكثر ، وكلما كانت متحضرة أو أقرب الله حياة الحضارة كانت لغتها عمل شك ومثار شبهة ، وكلما كانت القبيلة منعزلة عما حولها ، ومنقطعة الصلة بالعالم الحارجي كانت لغتها أفصح وأنى ، وكلما كانت وثيقة الصلة بالأمم المحاورة ولها علاقات من أى نوع كان مع الدول الأجنبية كانت لغتها عل طعن وموضع ربب ، وفكرتهم في هذا

أن الانعزال في كبد الصحراء وعدم الاتصال بالأجناس الأحنبية خفظ الغة نقاوتها ، ويصولها من أي مؤثر خارجي . وأن الاختلاط يفسد اللغة وبنحرف بالألسنة . وأول من روى لنا قائمة محددة بالقبائل التي يستشهد بها والتي لا يستشهد مها الفاراني اللغوى في كتابه، الألفاظ والجروف . . و تعد هذه القائمة و ثبقة تار نخبة هامة. و عنه أخذها أبو حيال في وشرح التسهيل او السيوطي فى كنابيه المرهر ، و ، الاقتراح ، . و إليكم نص هذه الوثيقة : ، قال أبو نصر الفاراني في أول كتابه المسمى بالألفاظ و الحروف : كانت قريش أجو د العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسال عند النطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس . والذين نقلت عنهم اللغة العربية . و بهم افتدى . وعنهم أخذ اللسان العربي من بن قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد . فإن هؤلاءهم الذين عنهم أخذأ كثر ما أخذ و معضه ، و عليهم اتكل في الغربب و في الإعراب و في النصريف. ثم هذيل و بعض كنانة و بعض الطائين (ولم يؤخذ عن غرهم من سائر قبائلهم . و بالحملة فلم يؤخذ عن حضرى قط . و لا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بالادهم المحاورة لسائر الأمم الذين حوضم، فإنه لم يؤخذ لا من لحم ولا منجذام نحاور بهم أهل مصر والقبط. ولا من قضاعة وغسان وإياد لمحاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى بقرءون العبر انية . و لا من تغلب و النمر فإنهم كانوا بالحزيرة محاورين للبونان. ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس . ولا من عبد القيس وأز د عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس . ولا من أهل انمن لمخالطتهم للهند والحبشة. ولا من بني حنيفة وسكان المامة. ولا من ثقيف وأهل الطائف نخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلو ا اللغة صادفوهم حن ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غرهم من الأمم وفسلت ألسنتهم ... ه .

فإذا استعرضنا على ضوء هذه الو ثيقة أسماء القبائل التي اشتركت في جيش

الفتح أو استوطنت في مصر نجد أن كثيراً منها كان من بين القبائل غير الموثقة التي لم تسجل لغتها .

١ – فمن المعروف أن أغلب المهاجرين العرب طوال القرن الأول كانوا من قبائل بمنية الأصل . وتطالعنا الوثيقة بعد ها أهل اليمن من بن غير الموثوق فيهم الذين لم تسجل لهجامهم .

۲ — أشهر من سكن مصر من « قضاعة » : « جهيئة » و « بلى »
 و « قضاعة » مطعونة في قصاحتها .

۳ من بطون کهلان التی سکنت مصر « لحم » و « جذام »
 و « غان » والثلاثة مطعون نی فصاحتها .

٤ ــ نزلت طائفة من قريش فسطاط مصر فى أوائل الفتح ، وسكن لفيف من الأنصار فى صعيد مصر ، وقد تجنب علماء اللغة حواضر الحجاز .

ماجرت قبيلة ، الكنز ، إلى مصر فى القرن الثالث الهجرى ونزلت فى بلبيس بالشرقية . وفى أعالى الصعيد . وبنو الكنز ينتسبون إلى ربيعة بن نزار ويرتفع نسبهم إلى بنى حنيفة المقيمين فى منطقة المحامة .
 وتطالعنا الوثيقة السابقة بالتشكيك فى بنى حنيفة وسكان المحامة .

٦ - نجد قبائل من طبيء تصل مصر وتقيم بها فى القرنين الأولين بعد الفتح. وقد هاجر بطن من بطونها اسمه سنبس فى سنة ٢٤٢ هـ = ١٠٥٠ م من فلسطين إلى مصر حيث نزل مديرية البحيرة. وتطالعنا الوثيقة بأن بعضاً من طبيء لا يوثق بلغتهم.

وهذا يعنى أن لهجات هذه القبائل التى استبعدت من مجال التسجيل ، وحكم عليها بالفساد والحروج عن نطاق اللغة الفصحى ، والتى كانت فى الواقع مصدراً من مصادر اللهجات العربية التى تكونت فى مصر بعد الفتح لا نعرف عنها إلا القليل، أو لا نعرف عنها شيئا ألبتة . وهذا يلتى ظلالا كثيفة من

الصعوبة على هذا الفصل حيث نفنقد الشواهد التى تعيننا على رد الظواهر اللهجية إلى مصادرها الأولى . ورب ظاهرة نحكم عليها بالخطأ وهى ترجع إلى لهجة من تلك اللهجات الوافدة . ورب تعبير أو لفظ نظن أجنبيته وهو يمت بعرق ونسب إلى أصل عربى . ورب ظاهرة صوئية نتوهم رجوعها إلى اللسان القبطى وهى ترجع فى الواقع إلى فجة عربية أو خاصة بدوية .

وعلى أى حال فقد وضعنا أبدينا على بعض الحصائص اللهجية التي تركت آثارها في لغة مصر في هذه الفترة ، وسنحاول أن نعرضها الآن . معترفين بأنها لا تمثل إلا القليل أو الحانب الصغير ، وأنه ما زال بيننا وبين النقصى شوط كبر .

- 1 -

أما آثار اللهجات العربية في المستوى الأدنى للعة . وقد استخرجناها كلها من أرقى المستوبات الكتابية في تلك الفترة فمن أمثانها :

أولا : في مجال النحو والصرف :

١ – الزام جمع المذكر السالم الباء فى جميع حالاته الإعرابية . وقد لوحظت هذه الظاهرة حتى فى الوثائق المبكرة المنسوبة إلى قرة بن شرياث .
 وهى لهجة عربية أشارت إليها كتب النحو .

۲ - حذف نون المثنى بدون إضافة نحو ، مائنى ، بدلا من مائنين
 و ، بينى ، بدلا من بيتين ، وقد لوحظ هذا فى وثائق البردى . وهذه أيضاً المجة معروفة فى كتب النحو وعليها المثل المشهور : بيضك ثنتا وبيضى مائتا
 أى بيضك ثنتان وبيضى مائتان . وجاء عليه قول الشاعر العربى :

هما خُطتا إما إسار" ومنــة وإما دم والقتل بالحر أجدر وابن جني يرى رفع « إسار » ويستجوده . حذف أن المصدرية قبل المضارع . ومن ذلك قول الشافعى :
 عليه يتعلم الصلاة – قبل تُكمل الصلاة – قبل على عليك (١) ، وقول
 ابن زولاق : لاشتهيت تصفع نفسك (٢) . وحذف ، أن ، لهجة عربية ،
 وبعضهم يبقى عملها بعد الحذف وبعضهم يبطله . (٣)

2 - حلف النون في الإفعال الحسة بدون ناصب ولا جازم . وقد تردد هذا في كلام الإمام الشافعي كقوله : فلا بتحلوا المطلقة حتى تغتسل وينفرقوا في بعض ما أخلوا به منهم (١) . كما ورد في كلام ابن زولاف مثل (١) : وجاءت سنانير يصبحوا . ومن كلام ابن الداية : تغيضني بقولك أقرضيني . وهذه أيضاً لهجة عربية صحيحة وجاء عليها الحديث النبوى الشريف : كما تكونوا يولى عليكم .

ه _ نصب معمولی و إن م كفول الشافعی : من أن ذلك موجوداً على كلهم (أن و شاهده من الشعر القديم ... إن حراسنا أسداً .

۲ . إثبات الياء في المنقوص التكرة كفول الشافعي : عن مصلي –
 على نواحي – وكذلك كل والى – ثلاثة معانى كلكم مؤدى ما عليه –
 من وجه ثانى (۲) .

⁽١) الرسالة (تعقيق أحمد شاكر) ص ٤٩ و ٢٦٥ و ٨٨٠ .

⁽۲) أخيار صبويه المصري س ۲۹.

⁽٣) في القرآن الكريم : ومن آياته بوبكم البرق ، وفي المثن خذ اللس قبل بأخذك - بالنصب حرفه رمن بالرجهين قو له الشاعر :

ألا أجدا الزاجري أحضر الوغي ﴿ وَأَنْ أَنْهِمُ اللَّمَاتِ عَلَى أَنْتُ عَلَمُهُ

⁽ع) الرسالة من ٢٦٥ و ٩٧٠ ..

⁽a) أخبار ميبويه المصرى ص ۲۸.

⁽٦) الرسالة ص ٥٨٠٠.

⁽v) الرمالة من ٢٩٤ م ١٤ و ١٧ ١٠ و ٢٢ فو ٨٣٠ . ٥٣٠ .

۷ - إنابة الحار وانحرور مناب انفاعل مع ذكر المفعول به منصوباً
 كقول انشافعى : أن يُـظن به ظناً مخالفاً - يُـشـرى بالدنانير والدراءم نقداً
 عــلا وسمنا (۱) .

۸ – إلحاق علامة النشية أو الجمع بالفعل إذا أسند إليه مثنى أو جمع كقول ابن الداية : اشتهوا على صبيانى حلوى فى العيد . و تلك مجة مشهورة معروفة فى كتب النحو ولها شواهد كثرة .

٩ - إشباع تاء الخطاب في مخاطبة المؤنثة كقول ابن الداية : جزاء ماقدمتيه . قال الخفاجي هي لغة ربيعة . وقد وردت في الحديث النبوي فما رواه البخاري كذلك . (١)

الدخال ، ال ، في العدد المضاف كقول أبي جعفر النحاس : الثلاثة الأصناف – الثلاثة الأحرف، بدلا من ثلاثة الأصناف و ثلاثة الأحرف، وقول ابن ولاد : والثلاثة الأنجم .

ثانباً : في مجال المفردات :

تجد مفردات كثيرة تردد في أشعار المصريين وكناباتهم ليس لها وجود في المعاجم التي بين أيدينا . وهذه – في رأينا – لابد أن تمثل استعمالات خاصة لبعض القبائل التي أهمل تسجيل لغتها ، أو تمثل مادة لغوية ندت عن حصر اللغويين . ومن أمثلة ذلك :

۱ – استعمال ، ست ، مكان ، سيدة، وقد وردت فى ، المكافأة، لابن الداية . وهي استعمال قديم أشار إليه أبوالعلاء المعرى فى رسالة الغفران وذكر له البيت :

⁽١) الرسالة من ١٤ه و ١٥٥ .

 ⁽٢) لف الفاط على تصحيح يعفى ما استعمله العامة من المعرب و الدخيل و المولد و الأغلاط
 (ط الهند) ص ٩٤ .

ست إن أعياك أمرى فاحمليني زقفونـــــة

وقال الفيروزا بادى : سنى أى باست جهاتى . وقال الزبيدى معقباً على هذا : كأنه كناية عن تملكها له . وقال بعضهم إن أصلها سبدتى فحذف بعض حروف الكلمة تخفيفاً . وللبهاء زهير أبيات استعمل فيها هذه الكلمة أكثر من مرة متحدياً اللغويين التقليديين وهى :

بروحی من أسمیها بستی فینظرنی النحاه بعین مقت یرون بأنبی قد قلت لحنا وکیف واپنی لزهیر وقنی ولکن غادة ملکت جهاتی فلا لحن إذا ما قلت ستی

۲ - استعمال كلمة وعيالات و جمعاً لعيال . وقد وردت في وفتوح مصر و لابن عبد الحكم . وهي ليست في معاجم اللغة التي رجعت إليها .

٣ - جمعهم ، جيل ، على جيل كقول المعلى الطائى :

كيف ياقبط تكونوا عربسا ومريس أصلكم شر الجيل ولا يوجد هذا الحمع في، لسان العرب، ولا القاموس المحبط.

٤ – استعمل سعيد بن عفير ، تفكل ، معنى أخذته الرعدة فى قوله:
 فما زاده الإبعاد إلا توقيرا وصرا ولم نحضع ولم يتفكل والذى فى الليان : الأفكل الرعدة ولا يبنى منه فعل . وهناك افتكل عمنى احتفل ، أما تفكل فلا توجد .

ه ـ استخدام كلمة ، النقليد ، بمعنى المحاكاة ، كما فى قول النحاس : وهذا زجر عن النقليد . وهذا المعنى لا وجود له فى أى من المعاجم القديمة.

۲ – استعمال كلمة ، الخيلاع ، بمعنى الخارجين على السلطان ، فقد قال أبو عثمان السكرى فى مدح بحيى بن معاذ الذى تولى مصر عام ١٩٢ ه : وأباد الخلاع من كل أرض بعد ما حاد عنهم كل فارس ولم أجد هذا الاشتقاق فيا تحت يدى من معاجم .

وأما آثار اللهجات انعربية فى المستوى نصف الأدبى أو اللغة الكتابية لغير المتخصصين فأكثر وأغزر . ونضيف إلى الأمثلة السابقة التى لابد أن تكون قد شاعت فى هذا المستوى كذلك – ما يأتى :

أولا: في عجال الأصوات (١):

۱ - حلول الناء محل الثاء مثل تلات بدلا من ثلاث واتنعشر بدلا من اثنا عشر و تعلب بدلا من ثعلب . ويروى أن عرب خيبر كانوا ينطقون الناء عوضاً عن الثاء (۲) .

۲ — كتابة القاف كافأ و نطفها قريباً من صوت الكاف. ومن المعروف أن القاف القريبة من الكاف قاد انتقلت مع الهلالية وأحلافهم من القيسين منذ الغرن الرابع الهجرى إلى أقطار شبى فى إفريقية والأندلس. وقد عرف بها عربان أهل البادية فى مصر أيام المماليك: حتى كان هؤلاء يطار دون العربان فى المعارك و يميز ونهم هذه الكاف. فكان إذا ادعى أحد منهم أنه حضرى قبل له قل « دقيق » فإن قالها بالكاف قتل ، وإن قالها بالقاف أطلق. وقد تحدث ابن خلدون عن هذه القاف وسهاها القاف المعقودة (٣) وعدها من ابن خلدون عن هذه القاف وسهاها القاف المعقودة (٣) وعدها من ابن خلدون عن هذه القاف وسهاها القاف المعقودة (٣) وعدها من ابن خلدون عن هذه القاف وسهاها القاف المعقودة (٣) وعدها من ابن خلدون عن هذه القاف وسهاها القاف المعقودة (٣)

⁽۱) م نسكن في حسوى السابق من أن نصع أبدينا من أن آثار صوتية ، لأن اللغة لمكنوبة لانكشف من كيفية النطق لعدم تمثيلها أصوات العلة من ناحية ، و لهافظها على الهجلا التقليلين من ناحية أخرى حتى لو كانت الكلمة تنطق بصورة أخرى. أما في هذا المستوى فقد أمكننا أن نضع أبدينا على كثير من الخصائص الصوتية وذلك بمساعدة و ثابق البردي العربية المنشورة . أن كان لمنص العرف المكنوب بحروب قبطية والذي نشره الدكتور صبحى أهبية خاصة في هذا المقام نطرا المشيل فرسم القبطي الكلهات المنظر قة بما في ذلك حروف العلة فيها .

 ⁽٢) انظر عبد المجيد عايدين : • من أصول اللهجات العربية فى السو دان ، (ط أو لما سنة ١٩٦٦)
 من ٤٩ .

⁽٣) المرجع أسابق من ٥ يُو ٢ ي .

خصائص البدو في الأقطار العربية (١) .

٣ - كتابة الذال دالا و نطقها كذلك . و مما ورد مه : « فإدا ، بدلا من فإذا . و م أخد ، بدلا من أخذ . و « أحدق » بدلا من أحذق . و من المعروف أن اللغة الآرامية التي كانت دات تأثير بالغ في كثير من لهجات العرب قبل الإسلام و بعده كانت تبدل الذال دالا بصفة مطردة . ومن المعروف كذلك أن بني ربيعة كانوا يبدلون الذال دالا في بعض الألفاظ (٢) .

التبادل بن الصاد والسين مثل فلصطين وفلسطين . والصلطان والسلطان . والصلطان والسلطان . وسوف و صوف ، ومسبوغة ومصبوغة . وهذا التبادل مشهور في اللهجات العربية القديمة . ومن أمثلته : سفح و صفح ، وسقر و صقر و سراط و صراط . ولسق ، ولسق . و يساق و بصاف ، وسفق و صفق .

همال الهمزة بالكلية مثل « جانى « بدلا من جاءنى ، و « شى « بدلا من شيء و « أردا » بدلا من أردأ و » جاهم » بدلا من جاءهم .
 وقضية تسهيل الهمزة – فى القديم – بالحذف أو التخفيف أشهر من أن نشير إليها .

٦ إعمال قانون المماثلة بين الأصوات إلى أبعد حد . وأمثلة ذلك
 من محطوطات دير القديس مكاريوس كثيرة منها :

(أ) عنده التي كتبت عُنده . وقد سبق أن شرحنا المماثلة بين حروف الحلق والفتحة . وقد جاءت هذه الصيغة وفقاً لإحدى اللغات في نطق ه عند ه .

⁽۱) من الأهمية بمكان أن تشهر هذا إلى أن محطوطات دير القديس مكاربوس اللى أمثل الكهات العربية بر مواز قبطبة الكشف عن أن صوت القاف حتى ذلك الوقت لم يكن قد كنب أو اطلق ى شكل همز ة بين المنقفين و أنصافهم و لم يواد فبها مناذ و احد ذاه الفادرة.

⁽٢) عبد الحيد عابدين : من أصو له المهجات الدر بية في السودان ص ٤٩.

(ب) و سخ التي كتبت و سخ . والمماثلة بين الحركات ظاهرة شائعة في اللهجات العربية ، مثل عليهم الجلاء . فلإمه الثلث في بعض القراءات .

ثانياً: في مجال النحو والصرف:

ا . أهم ظاهرة تلفت نظر الباحث هي إهمال الإعراب أو النجلص منه بالكلية . وأحياناً نجد بعضهم بحاول المحافظة عليه فيقع في أخطاه فاحشة . ومن أمثلة إهمال الإعراب نقتبس ما يأتي : فدفعت لهم فاس وتليس خبز وملح – اجنوا لكم قصب – قلى ل كلام . وهذه النماذج الثلاثة مأخوذة من مخطوطات دير القديس مكاريوس . وقاد ندت هذه الأمثلة من الكانب لأنه كان حريصاً على النزام الإعراب . وكان يكتب التنوين نحروف تمثل لحركة والنون مثل كلمة مسكنة التي كتبها كما لو كانت مسكتبان

ومن الأمثلة التي وردت في البرديات ومؤلفات الأقباط : حرف خرف ربدلا من حرفاً خرف) – الذي كان رئيس على دير – فلم يلبث قليل حتى وقع الطاعون – أقاموا ستة أشهر إلا يوم – مما يسوى درهم – كتبت إلياث كتاب – عشرين رطل .

ولا شك أن إهمال الإعراب جاء نتيجة تأثير بعض اللهجات العربية الوافدة. فعلى الرغم مما هو معروف بين علماء اللغات من أن الإعراب كان من أهم الظواهر العربية الشديدة اللصوف باللغة ، فإن كثيراً من الأمثلة اللهجية التي وردت إلينا تكشف عن اتجاه خطير نحو التخلص منه . كما أنه من غير الممكن الزعم بأن الإعراب كان ملزماً بين كل القبائل وعلى كل المستويات. وفي هذا يقول الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس: وإن ظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة سليقة في منناول العرب جميعاً ، بل كانت صفة من صفات اللغة النموذجية الأدبية ولم تكن من معالم الكلام العربي في أحاديث الناس ولهجات

خطابهم . ويستدل الدكتور عبد الحليم النجار (١ على شيوع ظاهرة إهمال الإعراب بأمثلة الإدغام التي وردت بكثرة في الفرآن الكريم من مثل : الكتاب بالحق - النكاح حيى - الناس سكارى يشفع عنده يبتغ غير الإسلام - انحتلف فيه - البيئات ثم الصالحات جنات - السيئات ذلك - الحنة زمراً - وورث سلمان - حيث شام ...

وقد أدى ذلك إلى محاولة إلزام الكلمات المعربة بالحروف وجهاً واحداً .
ومن أمثلة ذلك : فى ذو الحجة – أبو قير (بدلا من أبا قير) – ذا النون (بدلا من دى النون) – أبا أبوب (بدلا من أبى أبوب) – (بيداه بدلا من بيديه) – إن هاتان الخصلتان (بدلا من هاتين الحصلتين) … الىخ .

معاملة الفعل المعتل الآخر معاملة الصحيح فى الإعراب . ومن أمثلة ذلك : لم تدرى (بدلا من لم تدر) – رضيوا (بدلا من رضوا) – سمنيوا (بدلا من سموا) ... وثابت لغوياً وتاريخياً أن هذه هى القاعدة فى بعض الهجات العربية (٢) . وجاء عليها قول الشاعر :

ألم يأتبك والأنباء تنمى عا لاقت ليون بنى ذباد وقول الآخر :

هجوت زبان نم جئت معتذرا من هجو زبان لم تهجو ولم تدع ومنه أيضاً قول الشاعر :

نراه وقد فات الرماة كأنه أمام الكلاب مصغى الحد أصابم وخذه الظاهرة آثار باقبة في لغات سامية أخرى كاللغة الجعزية التي تقول

⁽٢) انظر د . بشر : ظرات في ألصرف العربي من ٢٢ و ٢٠ .

صَحَوَ بدلاً من صحاً . ورَمَى بدلاً من رمى . وتَلَنُو بدلاً من ثلاً وغير ذلك (٢) .

۳ معاملة المؤنث المحارى معاملة المذكر في كل شي ، بإعادة الضمير عليه مذكراً . ووصفه عذكر . والإشارة إليه باسم الإشارة المذكر مثل : هذا الدار عينه الاتمن . وقد كانت هذه عادة بعض العرب ، وكان المرد من أو انل من تبنوها و نادوا بها إذ قال فها نقله عنه أبو جعمر النحاس في إعراب القرآن ، : ، مالم يكن فيه علامة التأنيث . وكان غير حقيق التأنيت فلك تذكيره نحو : هذا نار . . وقد وردت شواهد عربية قديمة مصادة لرأى المهرد مثل قوله تعالى : السهاء منفطر به ، وقول انشاعر :

والعن بالإثمد الحارى مكحون

وقول الآخر :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

على الضمير بنقل حركة آخره إلى الحرف الذي قبله مثل قولهم : ينفع نفسه - فقال أله عشداً ه . وقد بدا ذلك واضحاً في غضوطات دير القديس مكاريوس .

و لا إسقاط الفاء من جواب ، أما ، مثل : أما بنوكم قد سقطوا ..
 وقد ورد ذلك في الشعر على قلة كقوله :

فأما الفتال لا قتال لديكـم ولكن سيرا في عراض المواكب كا ورد في الحديث النبوى الشريف .

٦ - صرف الممنوع من الصرف مثل : ذبحوا ذبائعاً . والحلاف بن

⁽١) الموجع السابق سي ٢٥.

النحاة فى جواز صرف المنوع من الصرف بدون علة تناولته كتب النحو بالتفصيل. وفي القرآن الكريم و سلاسلا وأغلالا ، : وفيه و اهبطوا مصرا».

ثالثاً : في محال المفردات والتعبيرات :

في هذا المستوى اللغوى شاعت عبارات وألفاظ كثيرة لها أصول عربية واضحة ، ولكن ربما تحرج المتحفظون من استعمالها ، أو ربما لم يكتب لها الشيوع في البلاد العربية فظلت لها صفة انحلية أو الإقليمية ، مما شجع بعض اللغويين أن خكموا عليها من أجل ذلك بالابتذال أو غير الفصاحة . ومن أمثلة ذلك :

۱ - استعماضم لفظنی و قبلی و و خری و فی مقابل جنوبی و شمالی . و قد تر دد ذلك كثیراً فی و ثانق البر دی و خاصة فی و ثانق البیع و و صنب حدو د الأراضی أو المنازل . وقد تنبه المقریزی إلی هذه الحاصة المصریة فقال فی خططه : إلا أن أهل مصر یستعملون فی تحدیدهم بدلا من الحهة الحنوبیة لفظة القبلیة . و بقولون الحد القبلی و لا بقولون الحنوبی . و كذلك بقولون الحد البحری و بریدون الشمالی .

۲ - استعمال كلمة ، المزين ، بمعناها الحديث الذى نستعمله فيها الآن
 و هو الحلاق .

٣ - استعمال كلمة ، أسات ، جمعاً لأب ، وقد وردت في مخطوطات دير القديس مكاربوس . ولم أعر عليها في معاجمنا اللغوية . ولعل منشأها القياس الحاطئ لهذه الكلمة على ، أمهات ، ومن الحموع الغريبة كذلك جمع ، سوط ، على ، أسباط ، و ، نجيب ، على ، نجبان ، ، و « جنة ، على ، أجنة ، .

٤ - استعمال كلمة ، بيت الراحة ، بمعنى مكان قضا، الحاجة ، كما وردت فى المخطوطات الموجودة عكتبة دير القديس مكاريوس .

استعمال كلمة « ثقيل » بمعنى جندى مدجج بالسلاح . وقد ور د ذلك فى وثائق البر دى .

٣ - استعمالهم كلمة « أسباطة » (تحرفت الآن إلى سباطة) بمعنى العذق أو القنو . وعلى الرغم مما قبل عن أصلها اليونانى فإن صلتها الظاهرة بمادة « سبط » العربية تجعلنا نقول بعربيتها . ومن معانى هذه المادة : السبط : الشجرة لها أغصان كثرة وأصلها واحد . والسبط ولد الولد والقبيلة .

٧ – وهناك بعض تعبيرات مصرية وردت إشارات خاطفة إليها في مؤلفات كراع النمل اللغوى المصرى الذي مات في القرن الرابع الهجري ومنها: رف الحاجب: اختلج - فش القفل: فتحه بغير مفتاح - فحم الصبي : بكى حتى ينقطع صوته (١).

- 4 -

وأما آثار اللهجات العربية في مستوى الخطاب العادى أو اللغة الدارجة فأكثر من أن تحصى ، وتعتبر اللهجات العربية ـ بلا شك المصدر الرئيسي لها . وإنه لمن السهل جداً ردكثير من خصائصها إلى أصول عربية ، سواء احتفظ بهذه الأصول كما هي ، أو لحفها تعديل وتغيير . ومن أهم تلك الآثار :

أولا: في مجال الأصوات:

نضيف إلى الأمثلة السابقة فيا مضى ما يأتى :

١ – كسر حرف المضارعة – ماعد: همزة المتكلم لخوف اختلاص صيغة المضارع بصيغة الأمر – مثل يكتب – تكتب – نكتب وظاهرة الكسر هذه معروفة في تاريخ اللهجات العربية ، واطردت في بعض اللهجات القدعة .

⁽١) النظر المنجه في المنة من ١٣٦ و ١٨٦ و ١٨٦ محطوطة دار الكتب المصرية رحم، ولذه.

۲ — إبدال القاف همزة في القاهرة وبعض حواضر الوجه البحرى . ولذلك أصول قدعة على ما قرره أنوليان في محثه ، بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي ، وهو موجود في أمهاء الأعلام الفينيقية . وقد نقل السيوطي نصوأ بمعني نصوق (أي توسخ) وذكر الأب أنستاس : أفز بمعني قفز واستنشأ بمعني استنشق . إلخ . وعلى الرغم من أن مخطوطات دير القديس مكاريوس لا تعبر عن صوت القاف بر مز الهمزة فليس في ذلك دليل على عدم حدوث هذا التطور في العصور السحيقة ، فإن لغة هذه المخطوطات – برغم ما فيها من مسحة عامية – خليط من العامية والفصحي . وقد النزم كاتبها – في كثر من الأحوال – الانجاه الفصيح مفضلا إياه على الحانب العامي.

حذف نون ، من ، و ، عن ، إذا وليهما ساكن ميثل مالبيت
 عالبيت . وتلك خاصة من خواص خثعم وزبيد من قيائل كهلان اليمنية .

النطق الصعيدى لصوتى القاف والجيم يعكس اتجاهاً بدوياً كما سبق أن ذكرنا .

النطق القاهرى لصوت الحيم له أصل عربى فى اللهجات العربية القدعة. وقد أثبت أنوليتهان أن نطق الحيم الأصلى كان كما هو عليه الآن فى القاهرة. وقدم أدلة على ذلك من الكتب والنقوش اليونانية التى ذكرت فيها أماء عربية. ومن نقش وجد فى « أم الحمال » ، ببادية الشام مكتوب خروف نبطية ، ومن المقارنات السامية المتعددة. أما نطقها مع التعطيش فكان نطق القرشين فى زمان النبى (١) . وصار نطق القرآن الكريم .

نانياً : في مجال النحو والصرف :

١ - إلغاء الإعراب كما سبق أن فصلنا .

⁽۱) ، بشابا المهندات العرب. رحث مجله كنابه الآد بالجامعة قلواد الأوال 1980 صنة 1988 (ص 1 و ۴) .

۲ - قرن الباء خرف المضارعة كقولهم باكتب وبيكتب. واستحدام هذه الباء مع المضارع قديم جداً فى اللغات السامية . فقد وردت فى نقوش كنمانية من شمالى سورية ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

۳ ــ لصق نون وقایة باسم انفاعل المضاف إلى یاء المتكلم مثل ضاربنی
 و فاهمنی . و قد و ر د هذا فی الشعر القدیم . و منه قول الشاعر :

هم القائلون الحير والآمرونـــه إذا ماخشوا من مُحدث الأمر مُعظّما

الاستغناء عن صيغة سع / سع / سع في الماضي المعنل الآخر بالباء مثل بقي . والاستعاضة عنها بصيغة سع / سع ع مثل بقياً .
 وقد تردد ذلك كثيراً في أوراق البردي العربية وله أصل في اللغة .

ثالثاً : في مجال المفردات :

الأمثلة كثيرة للكلمات المحرفة عن أصل عربي أو الني نرجع إلى لهجة عربية معينة . ومن ذلك :

١ - كلمة ، جلبية ، المحرفة عن جلباب .

۲ - ، مترد ، التي يكثر استعمالها في الريف . وهي تحريف لكلمة ، مثرد ، اسم المكان من الفعل ثرد . بقال : ثردت الحبز ثردأ كسرته فهو ثريد ومثرود .

تبأوت ، التي تعنى الفرع النابت من الشجر . وتطلق –
 كما نص صاحب الناج – على العصا المستوية فى لغة المصريس .

٤ - ، إيش ، التي ترددت كثيراً في الوثائق البردية ومخطوطات الأقباط عليه أي شيء . وهو مخفف منها كما نص عليه ابن السيد في شرح أدب الكاتب ، ، وصرحوا بأنه سمع عن العرب .

٥ - كلمة , ست ، الني سبق الحديث عنها .

٦ - فول و مدشوش و ، فقد حكى ثعلب فى المجالس جششت الحنطة و دششتها . وعلى هذا فقول العامة مدشوش و دشيش له أصل عربى بخلاف من زعم أنه معرب عن القبطية .

٧ - استعمال لفظ و امبارح و الذي يبدو أنه النطق الحميري للفظ و البارحة و بإبدال اللام ميا . وعليه جاء الحديث النبوى : ليس من امير امصيام في المسفر (ليس من البر الصيام في السفر) . ويرى أنوليهان أن هذا ليس إبدالا وأن و أم ه أداة تعريف مستقلة .

۸ ــ استعمال كلمة و بح و للأطفال خاصة بمعنى انتهى أو لم يبق .
 وأصله خباح . فنى لسان العرب : قال اللحيانى : زعم الكائى أنه سمع رجلا
 من بنى عامر يقول : إذا قبل لنا أبنى عندكم شىء ؟ قلنا : بحباح . أى :
 لم يبق .

۹ - استعمال كلمة ، ريت ، بدلا من لين ، والتبادل بن الراء واللام
 مشهور فى كتب اللعة . وروى أن بنى قبس كانوا يتولون رَعل فى لعل .

الفصل الخامس

مؤثرات أخرى

إلى جانب العاملين السابقين وجدت عوامل أخرى كان لها تأثير ثانوى على عربية مصر ، وتنمثل في :

١ _ عامل النزوع نحو السهولة وتوفير الحهد (١).

٢ _ عامل اللامبالاة.

عامل الاقتراض من لغات أخرى غير القبطية واليونانية ،مثل
 اللاتينية والفارسية والتركية .

أما فى المستوى الأول فلا تظهر بوضوح آثار هذه العوامل. كما لم تنضح آثار العاملين الأولين. ولا بوجد اختلاف جوهرى بين كتابات هذا المستوى فى مصر ومقابله فى البلاد العربية الأخرى. والسبب يتمثل فى الحقيقة التى كان مسلماً بها فى تلك الفترة وهى أن اللغة العربية النمو ذجية تتمثل فى القرآن والأحاديث النبوية ، وفى الشعر والنثر التقليديين. وقد أدى هذا بالكتاب والشعراء والأدباء إلى أن خاولوا عاكاة هذه النماذج الأدبية. وأن يكون غاية مابرجوه

⁽۱) مند مصر مبكر اختلف المفكرون هل كانت المغاث نجنح إلى الديولة أم إلى التعقيد . و على رأس الفريق الأول اشعرى الأمريكي Whiteney الذي يقرر أن كل ما نكشفه من تعلور في المامة ليس إلا أمثلة المزعة المغات إلى توفير المجهود الذي يبدّل في النطلق . (انظر الدكتور أبوب : النطور المغوى من ٣٩ و ٤٠) .

الواحد منهم أن ينبع تقاليدها حرفياً . وعلى الرغم من هذه الحقيقة ، ومن المحاولات الصادقة للأدباء ألا يحيدوا عن الأسلوب الراقى والمستوى الأدبى النموذجي ، فإن الفحص الدقيق لنلك الأساليب يكشف عن أخطاء ومخالفات للتقاليد الكتابية ، ولكنها – والحق يقال - تبدو ضيئلة جداً . ومن ذلك قول ابن الدابة: لم يبق لي إلا جارية" . ومنولا، والصواب ، ومنوله . ومن طريف ما يروى في ذلك أن الفضل بن عباس دخل على كافور الإخشيدي وعنده أبو إسحاق النجير مي فقال له : أدام الله أيام سيدنا الأستاذ . بجر الأبام ، فابتسم كافور إلى أبي إسحاق النجير مي فقال أبو إسحاق على الفور :

وغص من هيبة بالريق والبهر من شدة الحوف لا من قلة البصر والفأل نأثره عن سيد البشر وأن دولته صغو بلا كدر

لا غرو أن لحن الداعى لسيدنا فإن يكن خفض الأيام عن دهش فقد تفاءلت في هذا لسيدنا بأن أيامه خفض بلا نصب

فأمر له كافور بثلثمائة دينار ولابن عباس بمثلها .

ومن الكلمات المقترضة :

۱ – کلمة جسطال أو قسطال الني تعنی حاکم مصر . ثم استعملت في معنی حاکم مقاطعة أو مديرية . وقاد ترددت کثيراً في وثائق البردي مما فيها رسائل قرة بن شريك المبكرة . وقد ذكر جروهمان أنها مقترضة من أصل يوناني أو لاتيني .

۲ و ۳ – كلمة مازوت وجمعها موازيت التى وردت فى المؤلفات العربية واستعملها المقريزى فى الحطط إذ قال : و ننزعت موازيت القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها ه . ومعناها بالتعبير الحديث عمدة القرية أو حاكم المدينة . وقد ذكر جروهمان أن أصلها يونانى أو لانينى .

أما , الكورة ، فنعنى القرية أو المحلة أو المدينة . وهي كلمة مفترضة كذلك وترددت في رسائل قرة بن شربك .

ويبدو أن هذه الألفاظ .. وربما غير ها -كانت خاصة بالرسائل الرسمية أو بلغة الإدارة .

وأما المستويان الثانى والثالث -- وسندبجهما فى هذا الفصل - فيظهر فيهما بوضوح آثار هذه العوامل سواء فى مجال الأصوات أو النحو والصرف أو المفردات .

أولا: في مجال الأصوات:

من أمثلة ذلك :

۱ _ إبدال الذال زايا الذي يبدو أنه لا يمثل عنصراً لهجياً أصيلاً
 وإنما هو استخفاف في كيفية النطق وبذل جهد أقل .

۲ ـ إبدال الظاء ضادا مثل ، احفض ، بدلا من احفظ الني وردت في وثاثق البردى .

۳ ــ وقد ورد فی بعض و ثاثق البردی إبدال الضاد طاء مثل و محطره و بدلا من فضله .

٤ - قلب الزاى دالا كما فى كلمة جزاء الني كتبت فى الوثائق البردية
 و جدًى .

 التخلص من حرف العلة المزدوج عن طريق قلبه إلى حرف علة طويل. ومن أمثلة ذلك و بتيت والني تحولت إلى و بيت ه ?

٦ - الإدغام بعد قلب أحد الصوتين المتقاربين إلى صوت مماثل مثل
 ٩ بعت ، في مكان بعثت التي وردت في وثيقة بردية كتبت في سنة ٢٧٨ هـ

٧ – فك ياه النسب المشددة والاستعاضة عنها بياء مد مثل و الشرقي ه بدلاً من الشقى ، وقد كتبت الكلمة في مخطوطات دير القديس مكاربوس دكذا.

ثانياً : في مجال النحو والصرف :

والنغير ات في هذا المحال كثيرة جداً ومتنوعة . ومن أهمها :

١ - أخطاء فى الإعراب مثل: فهذا قياساً ومثلا - لا يتركون أحد لئلا ينظران - كان لسلمان عبداً .

۲ - خلق صيغ صرفية جديدة لا وجود لها فى العربية الكلاسيكية مثل صيغة انفعل مكان تفعل . ومن أمثلة ذلك « اتجسد » (تجسد) و « اتوكل » و « اترجا » . أو نقل فعل من صيغة إلى صيغة أخرى مثل استعمال الفعل اتلى بدلا من الفعل تولى ، وأورى بدلا من الفعل أرى .

اخطاء فى باب العدد مثل تسعة ساعات (تسع) . أربعة عشر ليلة (أربع عشرة) : اثنا عشر سنة (اثنتا عشرة) . بعد مائة اثنين و سنين (واثنتين).

٤ - وضع الذي مكان التي مثل : الأمو ال الذي شرحتها - ثيابه الذي.

استعمال اسم الإشارة استعمالا خاطئاً مثل : أربع الدراهم هذا .

٦ - تحويل صبغة الأمر فـــة لل إلى فـــة لل بقصد تحقيق المماثلة وتوفير
 الحهد مثل خيــها بدلا من خيطها .

٧ - إعادة الضمير مجموعاً على غير العاقل الحمع كقول السمنودى
 فى مقدمة كتابه فى نحواللغة القبطية : كتب الله المستعملة فى الكنيسة - وماينضاف
 إليهم ، وكقول مخطوط مكتبة دير القديس مكاريوس : الأعمال كلهم .

ثالثاً : في مجال المفردات :

استعملت كلمات كثيرة لها أصول أجنبية مختلفة ، كما حرفت كلمات أخرى عن صورتها الأصلبة أو معناها الأصلى. فمن النوع الأول :

- ۱ ــ كلمة ، بُرش ، وهي تركية ومعناها حصير :
- ۲ كلمة ، شوشة ، وهي موجودة في السريانية بصيغة شُشا ومعناها
 كُبة قطن .
- ٣ كلمة , قالاًية ، عمنى ببت الأستف أو ببعة النصارى . وهى كلمة لا تبنية بمعنى خلوة ، ثم أخذها السريان فصارت قلبتا ، ثم أخذها العرب فقالوا قلابة وجمعوها على قلالى .
- عن الفارسية : ووزنامج و بمعنى دونر اليومية المأخوذة عن الفارسية : ووزناجه و أو و روزنامه و .
 - ه ـ كامة ، سنتجة ، ممنى إيصال و هي فارسية .
- ٦ كلمة ، اسبيذاج ، المأخوذة من أصل آرامى . ومعناها رماد
 الرصاص .
- ٧ کلمة " بوش ۽ بمعنی عديم الحدوی أو خال . و هي أصلا ترکية .
- ٨ كلمة ، زير ، للإناء التنخارى المعروف ، وأصلها أكادى ثم
 انتقلت إلى الآرامية ثم العربية .
- ٩ كلمة يا سنل ، أو يا سطل م تحاس ، وهي مستعارة من اللاتينية .
 - ١٠ كلمة . أوسية ، بمعنى مزرعة .

ومن النوع الثانى :

- ١ كلمة ، بعز أ ، التي ترجع إلى الأصل العربي بعثق . فني اللسان :
 البعثقة خروج الماء من الحوض . و تبعثق إذا انكسرت منه ناحية ففاض منها .
- ٢ كلمة , حربتط ، في قولهم , حرط حائطاً ، المحرفة عن حوط .
 ومثله كلمة ، المغاير ، المحرفة عن المغاور .

- ۳ استعمال الكلمة في معنى جديد مثل كلمة « تَملى « التي وردت في المرديات معنى داعماً أو باستمرار ، وهو نفس معناها العامى الحديث .
- قولهم جمادى الآخر بدل الآخرة . ولا زال هذا التعبير شائعاً حتى يومنا هذا .
- استعمال کلمة و دعوة و في معنى دعوى أو قضية . وقد و ر د ذلك في و ثائق البر دى .

ومما هو جدير بالذكر ، أن كتاب وثائق البردى كانوا فى بعض الأحيان يستعملون اختصارات فى الكتابة تحل محل كلمة أو أكثر . ومن ذلك :

وأدى عز	اختصار	واعن	
أرادب	اختصار	أب	
وطالب	اختصار	ولب	
بنار مخه	اختصار	به	

كذلك مما تجدر الإشارة إليه أن الأخطاء الإملائية فاشية جداً في هذه البر ديات وفي غيرها من كتابات الأقباط . ومن أمثلة ذلك :

- المربوطة تاء مفتوحة كثيراً مثلسنت (سنة) ، امرأت
 امرأة) ، ابنت (ابنة) ، الممات (المماة) .
 - ٢ كلمة شيء كثيراً ما كتبت، شاى ، وهذا من الكتابة الغريبة .
 - ٣ كتابة ذلك وهذا وهذين بالألف . :
 - ٤ عدم كنابة ألف أمام واو الحماعة .
 - ه كتبت الكلمة بطء هكذا: بطؤ وذلك في وثاثق البردى:
- ٣ كتابة الياء ألفاً مثل ادعا فمنا –كفا تقوا المسما الأخرا ٥

٧ - وصل أكثر من كلمة مثل كتبنى (كتب أن) ، وكتبشهادته
 إوكتب شهادته) ، وذلكنى (ذلك أن) ، بكلما (بكل ما) .

وهناك إلى جانب ذلك تعبيرات عليها مسحة العامية استعملت في الوثائق المردية مثل:

١ – ويبة واحدة قمع بدلا من : ويبة قمع واحدة أو ويبة واحدة
 من القمع .

٢ _ وقد شلناه إلى دكان السمسار بدلا من حملناه أو نقلناه .

٣ _ وديت لك بدلا من أديت إليك أو أرسلت إليك .

٤ _ نسبت أذكر لك :

وكانوا الخراسانين قد جابوا مراكب عدة .

٦ _ صلينا على حافة البحر في الغبط.

خاتت د راسة مقارنة مدى لتاثير المتبادل بين القبطية والعربية

والآن . . وقبل أن نضع القلم نحب أن نتعرض لقضية أخرى خلو لكثير من الدارسين أن بخوضوا فيها ، وهي قضية تأثير العربية على القبطية . ومقارنته بتأثير القبطية على العربية :

ولن نشنط نحن فى الحكم فنعطى أحكاماً جزافية أو بالجملة . أو نقول عن العربية ماقاله الدكتور صبحى عن القبطية من أنها سبب اختلاف عربية مصر – و نخاصة عاميتها – عن سائر العربيات . وما ادعاه من أن مفردات عامية مصر مليئة بأعداد ضخمة من الكلمات ذات الأصل المصرى القديم أو القبطى بدرجة تثير الدهشة والعجب . ولكننا سنعرض القضية عرض منصف بلتزم الحياد . و بمه تصوير الحقيقة .

لقد سبق أن تعرضنا بالتفصيل لقضية التأثير القبطى على عربية مصر وخرجنا بنتيجة محددة هي انحصار هذا التأثير في جانب المفردات فقط وحتى في هذا الحانب وجدنا التأثير ضيقاً لا يتجاوز بضع عشرات من الكامات. وليس هذا فحسب و فقد وجدنا أن قوائم هذه الكلمات مليئة بألفاظ يونانية شرب بعضها إلى العربية عن طريق القبطية ، و بعضها عن طريق مباشر ، و بعضها في بلد آخر غير مصر و و مما كانت ضآلة عدد الكلمات القبطية و حدها الموجودة في عربية مصر هي السبب المباشر الذي حدا الدكتور جورجي

صبحى وغيره أن يدبجوا فى قوائمهم الكلمات القبطية واليونانية حتى ببدو الأثر قوياً. ومعنى هذا أننا لو نحينا جانباً مثل هذه الكلمات، ورددنا الكلمات ذات الأصل العربى إلى أصولها . واستبعدنا أسهاء الأعلام نهائباً ، لانكمش الرقم جداً ، ولم يبق عندنا شىء ذو بال .

و نضيف إلى هذا أن الدراسات اللغوية القبطية لم تنرك أى آثار على الدراسات اللغوية القبطية لم تنرك أى آثار على الدراسات اللغوية قديمة اللغوية العربية فى مصر . ويبدو أن الأقباط لم يكن لحم دراسات لغوية قديمة ذات شأن ، وإلا انعكس أثرها على لغوي مصر المتقدمين ، وظهرت ملاعمها فى كنب النحو و اللغة القبطية التى تنابع ظهور هابعد القرن الحادى عشر الميلادى.

فإذا نحن انتقلنا إلى الجانب الآخر من القضية وأردنا أن نسجل آثار العربية على القبطية ، وجدناها كثيرة ومتنوعة كما يلي :

١ – صرح الأستاذ William Worrell المتخصص فى الدراسات القبطية بأن الأصوات القبطية قد انحلت نحت ضغط الأصوات العربية ، وأن فكرة كتابة القبطية بحروف عربية (١) قد أدت ولا شك إلى اختفاء الأصوات القبطية التى لم يمكن أن تمثلها حروف عربية لعدم وجودها (١) . وصرح فى موضع آخر بأن الأقباط الذين كانوا بتكلمون العربية ، لابد أن تكون لغتهم القبطية قد تعربت (٣) .

٢ - فحص Worrell بعض الوثائق القبطية المكتوبة بحروف عربية وانتهى إلى نتيجة فحواها أن لغة هذه الوثائق و يظهر بوضوح كاف وقوعها تحت تأثير العربية لدرجة أنها لا عكن أن يعتمد عليها في دراسة الأصوات القبطية .

⁽۱) عثر على نص قبطى مكنوب بحروف عرابية نشر؛ Galtier عام ١٩٠٦ . انظر W. Worrell في كتابه Coptic Sounds س ۳ راه و 7 .

[.] ۲ ص Coptic Sounds (۲)

⁽٢) المرجع ص ١٢٢ .

وأن حروف العلة فيها هي تلك الموجودة في العربية (١) :

" - نشر Chassiant أوراقاً بردبة طبية قبطية كتبت في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين عثر عليها قرب إخميم. وقد لوحظ أنها تشتمل بكثرة على مصطلحات عربية كتبت بحروف قبطية وأحياناً بحروف عربية . كما لوحظ أن كاتب هذه الأوراق كثيراً ماكان يفضل استعمال المصطلح العربي على مقابله القبطي أو اليوناني (٢) :

قارن و اميلينو ، بين وثيقتين قبطيتين. كتبت الأولى فى ولاية عبد العزيز بن مروان، والثانية فى القرن الثالث عشر الميلادى فى عصر الملك الكامل ، وحكم بأن و لغة الوثيقة الأولى لغة العصور المزدهرة وليس فيها ما يشعر بالاضمحلال ، أما الثانية فتدل على أن و اللغة القبطية قد أصابها الفساد حيث أدخلت فيها كلمات عربية . ولما كان المؤلف نخطئ فى التعبير فقد كان فهم الوثيقة من الأمور الصعبة (٢) .

عثر على قصة قبطية مكتوبة فى أو اثل القرن الثالث عشر الميلادى.
 وقد ظهر فيها بوضوح ضعف المؤلف فى اللغة القبطية ، واستعماله لكلمات عربية كثيرة . (١) .

٩ - عثر على قصيدة قبطية تعالج موضوعات دينية تهذيبية وترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادى ، وقد كتبت بلهجة قبطية صعيدية . وقد عقب Worrell على القصيدة بقوله ، اللغة بوجه عام مفتعلة . وأسوأ من هذا فالأبيات منظومة على الطريقة العربية ، (٥).

⁽١) المرجع والصفحة السابقان .

⁽٢) داارة المارث Kibt .

⁽٣) جاك تاجر س ٢٠٦.

⁽t) دائرة المارف Kibt .

[.] ۱۷ سی A Short Account (ه)

- ٧ أما آثار الثقافة العربية على مفكرى الأقباط فكثيرة ومتنوعة .
 ومن أمثلتها :
- (أ) انعكاس الثقافة الإسلامية حتى في كتابات الأقباط الدينية . وأقرب مثال لذلك كتاب الصبى بن العسال المسمى بو بالمجموع الصفوى با الذي يتناول فقه المذهب الأرثوذكسي . وواضح في هذا الكتاب تأثر المؤلف بالفقه الإسلامي في تقسيم الكتاب إلى قسمين . عبادات ومعاملات . وفي عناوين أبوابه . وحتى في تقريره للأحكام . وإليكم النص التالي الذي يوضح هذه الفكرة ، وهو عن آداب القاضي : ويساوى بين الحصمين في الدخول والحلوس والإقبال عليهما والإنصات إليهما والمخاطبة لهما والعدل في الحكم لهما أو عليهما ولا يسار (كذا) أحدهما . ولا يلقنه حجة ، ولا يختصمه ، ولا يحتج له ولو كان قوياً وضعيفاً ومشروفاً وشريفاً حتى لا يطمع شريف في حيفه ولا يبأس ضعيف من عدله ه (٤) .
- (ب) تأثر النحاة الأقباط في كتبهم النحوية بمجهودات العرب في ذلك . وأنت نخرج منده النتيجة بعد تصفحك لكتب النحو القبطية المتقدمة . حيث تجد تشاماً عجيباً بين المنهجين . فالكلمة عند ابن كاتب قيصر تنقسم إلى اسم وفعل وحرف . والاسم هو الذي يخبر به أو خبر عنه ، وهو ما دخله أحد أدوات التعريف أو التنكير أو التذكير أو التذكير أو التأنيث والحمع وما أشبه ذلك .. والحرف مادل على معنى في غيره ولم يستقل بنفسه ، ولا نخبر به ولا نخبر عنه ... ومنها الحروف الى تدخل على المبتدأ أو الخبر وهي إن وأخوا آيا.. النخ . هل تصدق أنك تقرأ في كتاب يعالج نحو اللغة القبطية ؟

ولم يكن هذا سبيل ابن كاتب قيصر وحده ، بل كان سبيل النحاة جميعاً

⁽١) المجموع الصفوى ص ٣٦٤ •

حتى ضاق بهم مؤلف قبطى آخر اسمه الشيخ الوجيه القليوبى ، فقال فى مقدمة كتابه المسمى «بالكفاية »: « وقد وضع فى ذلك (النحو القبطى) مقدمات . إلا أن المفسرين لغلبة أحكام تصريف اللغة العربية عليهم قاسوا أكثر أحكام القبطى عليها . وليس الأمر كذلك ؛ بل من شرط المخرج من لغة إلى أخرى أن يجرد ذهنه عن اللغة الغالبة ، ويذهل عنها . ثم يذوق اللغة المخرجة . ويستحضر جميع أجزائها ، ويستقرى مواضع استعمال أدواتها » .

۸ – وأخيراً يكفينا في مجال الموازنة أن نذكر القارئ بما سبق أن قررناه من هزائم اللغة القبطية المتكررة أمام هجمات العربية، و فقدها قلاعها واحدة بعدالأخرى . فما أن جاء القرن العاشر الميلادى حتى كانت قد اهتز عرشها وثلت أركانها وأصبحت لغة ميتة أو شبه ميتة . وليس يفوق الموتشىء آخر . وقد سبق أن ناقشنا مراحل احتضار اللغة القبطية وأقمنا الأدلة على موتها المبكر . ونضيف الآن ما يأتى إلى ما سبق :

(أ) أن كتب النحو القبطى المؤلفة بلغة عربية بدأت تظهر فى القرن الحادى عشر الميلادى . وقد بدأها أثناسيوس أسقف مدينة قوص. وتلاه مؤلفون آخرون مثل ابن كاتب قيصر والشيخ الوجيه القليوبي والمؤتمن ابن العسال وابن الدهيرى والسمنودى. وواضح أنها جميعاً وضعت لحدمة القارئ الذي يعرف العربية ويريد أن يتعلم القبطية .ولذا فهى تتخذ المثال العربي أصلا ثم تشير إلى مقابله فى القبطية .

(ب) عثر فى بعض الأديرة على مخطوطات قبطية قديمة مليئة بحواش وإضافات باللغة العربية مثبتة على جوانب المخطوطات. ومعنى هذا أن معظم الرهبان ورجال الدين كانوا قد تعلموا القبطية كلغة ميتة أو لغة ثانية ، وأنهم كانوا يفضلون إثبات تعليقاتهم بلغتهم الأولى، وهي العربية.

- (ج) من الثابت قطعاً أنه في أو اثل القرن العاشر تمت ترجمة « سيرة جون الصغير » إلى السريانية من النص العربي وليس من الأصل القبطي .
- (د) أنه بجرد مكتبة دير القديس مكاريوس لوحظ أنها فقيرة جداً إلى مخطوطات تنتمى إلى القرون ما بين الحادى عشر والثالث عشر. وقد فسر المستشرق H. White في مقدمة كتابه:

The Monasteries of the Wadi'N Natrun خلك بقوله: «هذا التدهور يعود إلى حد ما إلى زهد الناس في قراءة الأدب الديني : وإلى حد أكبر إلى أن اللغة القبطية كلغة حبة كانت قد وقعت في هذه الفترة فريسة بن مخالب اللغة العربية ».

- (ه) كذلك لوحظ أن القسم العربي من المكتبة كبير جداً مثل القسم القبطى أو أكبر منه. وقد رجح White أن يكون رهبان الدير قد فضلوا في قراءاتهم القراءة باللغة العربية ، وإن كانوا قد احتفظوا بالقبطية في قداساتهم الكنسية .
- (و) عثر ضمن مخطوطات مكتبة الدير السابق الإشارة إليه على معاجم أو قوائم بالألفاظ هدفها مد يد العون لقارئ العهد الحديد باللغة القبطية .
- (ز) عثر فى نفس المكتبة على بقايا لعشر قوائم تعطى المقابلات العربية للكلمات القبطية (أو اليونانية) المتعلقة بالكتاب المقدس والطقوس الدينية ، يرجع معظمها إلى القرن الثالث عشر الميلادى . والملاحظ أنها كلها معاجم قبطية عربية ، ولا يوجد من بينها معاجم عربية قبطية (١) .
- (ح) أن نشاط اللغويين الأقباط المتقدمين أمثال إخوة العسال وابن كبر

The Monasteries of the Wadi'N Natrun, Part I. ۲۲۲ انظر ص ۲۲۲ (۱)

لم يتم بهدف تيسير تعليم الشعب اللغة، بل بهدف تزويده بمساعد بعينه على فهم لغة القداس وطقوس العبادة .

(ط) أن آخر محاولة بذلت لإحياء اللهجة القبطية الصعيدية تمت في القرن العاشر الميلادي حيث ظهرت مؤلفات كثيرة اشتملت على نماذج كلاسيكية للأدب الصعيدي والإنجيل وسير القديسين والشعائر الدينية . ثم لم تتم محاولات بعد ذلك .

فلعل القارئ يكون قد تبين الآن بنفسه خطأ ما ردده الدكتور صبحى عن شدة تأثير القبطية على العربية وما ادعاه من أن آثار القبطية في العربية أكثر من آثار العربية في القبطية . فقد ظهر أن لاوجه للمقارنة مطلقاً ، بالإضافة إلى تمكن اللغة العربية من القضاء على القبطية . وليس بعد الموت أثر يفوقه .

ولن نجد ما نختم به بحثنا خبراً من قول الدكتور ولسن بشاى: و ومهما يقل عن آثار اللغة القبطية التى تركنها على اللغة العربية عندما كانت اللغتان مستعملتين جنباً إلى جنب . وكانت اللغة القبطية قوية . وذلك خلال المرحلة الأولى من الصراع . فإن هذه الآثار لابد وأن تكون قد زالت أو تلاشت تماماً حينها اختفت اللغة القبطية من الوجود كلغة متكلمة وحلت محلها اللغة العربية .

وبعد: فإن قصة اللغة العربية واستقرارها في مصر من القصص الفريدة التي لا تتكرر كثيراً في التاريخ. ويكني أن نعلم أن مصر قد تتابع عليها حكام أجانب على امتداد تاريخها الطويل من هكسوس وآشوريين وفارسيين ويونان ورومان دون أن يتمكن أحد منهم من فرض لغنه على مصر. والقضاء

على اللغة الوطنية المصرية تماماً . إلى أن جاء العرب فتمكنوا من فرض المختهم وإحلالها محل القبطية . وما أن تمكنت اللغة العربية فى مصر حتى رسخت يسوخ الجبال . وقاومت هجمات الاستعمار المتنوعة . واستطاعت أن تصمد أمام تيار الغزو الأجنبي ، سواء كان تركيا أو فرنسيا أو إنجليزياً ، وظلت ولن تزال – لغة مصر رائدة القومية العربية .

اهم المراجع

أولا: المراجع العربيــة

- ١ _ أحسن التقاسم : المقدسي ، د بريل ١٩٠٦٠ .
- ٢ أخبار سيبويه المصرى ، ابن زولاق ، ط أولى ١٩٣٣ .
- ٣ _ أصول الكلمات العامية ، حسن توفيق ، مصر ١٨٩٦ .
 - ٤ أقباط ومسلمون ، دكتور جاك تاجر ، مصر ١٩٥١ .
- الأدب العربي في مصر ، دكتور عبد الرزاق حميدة ، مصر ١٩٥١.
- ٦ _ الأدب القبطي قديماً وحديثاً ، محمد سيد كيلاني ، ط أولى ١٩٦٢ .
- الأساس المتين في ضبط نطق لغة المصريين ، عبد المسيح المسعودى ،
 ط مصر .
- ٨ -- البيان و الإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، المقريزى ، تحقيق
 الدكتور عبد المحيد عابدين ، ط أولى ١٩٦١ .
 - ٩ _ البيان والتبن للجاحظ _ تحقيق عبد السلام هارون ط أولى .
- ١٠ تاريخ مصر, الإسلامية الجزء الأول للدكتور جمال الدين الشيال
 ط دار المعارف ١٩٦٧ .
 - ١١ التطور اللغوى ، دكتور عبد الرحمن أيوب .
 - ١٢ حضارة مصر في العصر القبطى ، دكتور مرادكامل ١٩٦٨ ة
 - ۱۳ ـ الحطط ، المقريزي ، بولاق ۱۲۷۰ ه.

- ١٤ الدخيل في اللغة العربية ، دكتور فؤاد حسنن ، مجلة كلية الآداب :
- ١٥ الرسالة ، الإمام الشافعي : تحقيق أحمد شاكر : ط أولى ١٩٤٠ .
 - ١٦ السلم الكبر ، ابن كر ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية .
 - ١٧ السلم المقفى ، ابن العسال ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية .
- ١٨ العربية ، يوهان فوك، ترجمة دكتور عبدالحليم النجار ، القاهرة ١٩٥١.
 - ١٩ اللغة القبطية ، جرجس فليوثاؤس عوض ، مصر ١٩١٦ .
 - ۲۰ المتوكلي ، السيوطي ، دمشق ١٣٤٨ ه .
 - ٢١ المحلة القبطية ، جرجس فيلوثاؤس عوض .
- ۲۲ المجموع الصفوى ، ابن العسال ، تحقیق جرجس فیلوثاؤس عوض ،
 ط أو لی :
- ٢٣ المحاضرة الأولى عن الأوراق البردية العربية: دكتور أدولف جروهمان دار الكتب ١٩٣٠.
- ٢٤ المحكم في أصول الكلمات العامية ، دكتور أحمد عيسي. ط أو لي ١٩٣٩.
- ٢٥ المقدمة في نحو اللغة القبطية، الوجيه القليوبي، مخطوطة بالمكتبةالتيمورية.
 - ٢٦ المكافأة ، ابن الداية ، ط أولى ١٩١٤ .
- ۲۷ المنجد فى اللغة لكراع النمل ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم
 ۲۷ المنجد فى اللغة لكراع النمل ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم
- ٢٨ النثر الفني في القرن الرابع ، دكتور زكى مبارك ، ط أولى ١٩٣٤ .
 - ۲۹ النجوم الزاهرة ، ابن تغرى بردى ، ط دار الكتب .
 - ٣٠ النحو الوافي ، عباس حسن ، ط المعارف .
 - ٣١ الولاة والقضاة ، الكندى ، بىروت ١٩٠٨ .

- ۳۲ ـ أهل الذمة في الاسلام ، أ . س . ترتون ، ترجمة حسن حبشي ، دار الفكر ۱۹۶۹ .
- ٣٣ بقايا اللهجات العربية ، دكتور أنوليتمان ، مجلة كلية الآداب . مابو ١٩٤٨ :
 - ٣٤ تاريخ ابن الراهب ، بىروت ١٩٠٣ .
 - مِنْ ٣٥ تاريخ الأقباط . زكبي شنودة ط أولى ١٩٦٢ .
 - ٣٦ _ تاريخ الأمة القبطية . لحنة التاريخ القبطي ، ط ثانية ١٩٢٢ .
- ٣٧ تاريخ الأمة القبطية ، أ . ل . بتشر ، ترجمة اسكندر تادرس ، الفجالة ١٩٠١ .
 - ٣٨ تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمى ، أكسفورد ١٨٩٤ .
- ٣٩ تاريخ العرب قبل الإسلام ، دكتور جواد على ، ط المجمع العلمى العربية .
 - ٤٠ تاريخ اللغة العربية . جورجي زيدان ، القاهرة ١٩٠٤ .
 - ١٩ ناريخ محى بن سعيد الأنطاكي . ١٩٢٤ .
- ٤٢ تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية. طوبياً العنيسي . طاثانية١٩٣٢
 - ٤٣ ــ التكملة فيما تلحن فيه العامة ، الحواليفي . ملحق بلف القماط .
 - ٤٤ تهذيب الألفاظ العامية . محمد على الدسوقي : ١٩١٣ .
 - ٥٤ حسن المحاضرة . السيوطي . القاهرة ١٣٢١ ه.
- جياة النثر في مصر . دكتور بهي الدين محمد زيان ، رسالة دكتوراه
 بكاية الآداب ، جامعة القاهرة .
 - ٤٧ ــ دلالة الألفاظ العربية ، دكتور مراد كامل ، معهد الدراسات العربية ١٩٦٣ .

- 2٨ ـــ رسالة الكلمات الغير العربية . حمزة فتح الله ، بولاق ١٩٠٢ .
- ٤٩ سعر الآباء البطاركة . سويرس بن المقفع ، باريس ١٩٠٧ وما بعدها.
 - ٥٠ ـ صبح الأعشى ، الفلقشندي ، ط دار الكتب .
- ۱۵ فتح العرب لمصر ، ألفرد بنار ، ترجمة محمد فريد أبو حديد .
 دار الكتب ۱۵ ۱۳ ه .
 - ٥٢ في الأدب المصرى الإسلامي . دكتور محمد كامل حسن .
- عن اللهجات العربية . دكتور عبد الحليم النجار ، مجلة كلية الآداب ،
 ما . 190٣ .
 - ٥٤ قبائل العرب في مصر . أحدد لطني السيد ، ط أولى .
- ٥٥ ــ قواعد اللغة المصرية القبطية ، دكتور جورجي صبحي ، ١٩٢٥ .
- عبد انحسن بكير ، دكتور عبد انحسن بكير ، طرف أولى .
 - ٥٧ كتاب البرهان : سعيد بن بطريق ، ١٩٦٠ .
- ماب الناريخ المجموع على النحقيق والتصديق ، سعيد بن بطريق ،
 بروت ١٩٠٥ .
- ۹۵ . لحن العوام ، الزبیدی . تحقیق دکتور رمضان عبد النواب .
 ط أولی ۱۹۹۴ .
 - ٦٠ لسان العرب ، ابن منظور ، ط بيروت .
 - ٦١ اف القماط ، عمد صديق خان ، ط الهند .
- ٦٢ ــ المحتمعات الإسلامية في القرن الأول للدكتور شكرى فيصل ١٩٥٢ .
 - ٦٣ مجموعة الألفاظ القبطية المتداولة ، أقلو ديوس لبيب ، ط أولى .
- ٦٤ مصر العربية الإسلامية للدكنور على حسنى الخربوطلى ، الأنجلو ١٩٦٣

- مصر فى فجر الإسلام . ذكتورة سيدة إساعيل الكاشف ، ف
 دار الفكر ١٩٤٧ .
 - ٦٦ ـ مقدمة ابن خلدون . طبع المطبعة الشرفية .
- مقدمة فى نحو اللغة القبطية . ابن كاتب قيصر . محفوطة بالمكتبة التيدورية .
- ٦٨ ـ مقدمة في نحو اللغة القبطية . ابن العسال . عُنطوطة بالمكتبة انتيمورية.
- ٦٩ _ مقدمة في خو اللغة القبطية، ابن الدهيري. مخطوطة بالمكتبة التبمورية.
- ٧٠ مقدمة في نحو اللغة القبطية . السمنودي . مخطوطة بالمكتبة التيسورية.
 - ٧١ ــ من أسرار اللغة . دكتور إبراهيم أنيس ، الأنجلو . ط ثانية .
- ٧٢ من أصول اللهجات العربية في السوادن . ذكتور عبد انجيد عابدين .
 ط أولى ١٩٦٦ .
- ٧٢ ــ نظرات في الصرف العربي ، دكتور كمال بشر . حلقة البحث العلمي . كلية دار العلوم .

ثانيا ــ المراجع الأجنبية

- 1 A History of Egypt, Lane Poole, 1925.
- 2 An Introductory Coptic Grammar, Prof. Plumley, 1948
- 3 Arabie Linguistic Studies in Egypt, A.M. Omar, Ph. D. Cambridge.
- 4 Arabic Papyri, Adolf Grohmann, Cairo, 1934.
- 5 A Short Account of the Copts, William Worrell, U.S.A., 1945.
- 6 Colloquial Arabic, De Lucy O'Leary, London, 1963.
- 7 Common Words in the Spoken Arabic of Egypt, of Greek or Coptic Origin, G. Sobby, Calco. 1950.
- 8 Conversion and the Poll-Tax in Early Islam, D. C. Dennett, Cambridge, 1950.
- 9 Copt.c Sounds, William Worrell, U.S.A., 1934
- 10 Coptic Texts from Deir cl-Bala'izalı in Upper Egypt, Faul E. Kahle, Oxford, 1951.
- 11 Coptic Texts, William Worrell, U.S.A., 1942.
- 12 Characteristics of the Hamitic Languages, O'Leary.
- 13 Elements of the Science of Language, Irach J. Sorabji, Calcutta, 1932.
- 14 Encyclopaedia Americana. Coptic Language and Literature.
- 15 Encyclopaedia Britannica, Coptic Church and Coptic Language.
- 16 Encyclopaedia of Islam, Kibt.